

التثبيت الإلهي وتسلية النبي ﷺ في أوقات المحنة: دراسة تحليلية لمقاصد
الابتلاء في القرآن الكريم

**Divine Affirmation and the Prophet's Consolation
during Times of Trial: An Analytical Study of the
Objectives of Tribulation in the Holy Qur'an**

د. أحمد بن علي الزاملي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك - قسم العقيدة والمذاهب
المعاصرة، كلية الشريعة وأصول الدين جامعة الملك خالد- المملكة
العربية السعودية

Dr. Ahmad bin Ali Al-Zamli

**Associate Professor of Islamic Creed and
'Contemporary Doctrines**

'Department of Creed and Contemporary Doctrines

'College of Sharia and Fundamentals of Religion

King Khalid University ,Kingdom of Saudi Arabia

aaaalzaml@gmail.com

<https://orcid.org/0000-0003-4761-1610>

المستخلص:

تستهدف هذه الدراسة الكشف عن الأبعاد العقدية العميقة لمفهوم تسلية النبي محمد ﷺ كما تجلّى في القرآن الكريم، عبر تحليل نماذج مختارة من الآيات التي حملت له التثبيت الإلهي والعناية الربانية في لحظات الشدة الدعوية ومواجهة الشبهات الفكرية، وتبحث في وسائل التثبيت الرباني بوصفها سنناً إلهية تهدف إلى ترسيخ الثبات العقدي وحفظ الرسالة في مواجهة التحديات المتجددة.

تنطلق الدراسة من منهجية تأصيلية تحليلية في ضوء محاور التوحيد والقدر والإيمان بالغيب واليوم الآخر، مع الاستفادة من القصص القرآني ودلالاته العقدية والإيمانية، لتوضح أن الخطاب القرآني، وإن نزل في سياق محدد، فإنه يظل مصدرًا متجددًا للهداية والتثبيت أمام ما يستجد من ابتلاءات.

وتخلص الدراسة إلى بيان دور القرآن في إرساء السكينة في قلب المؤمن، وفي كونه هاديًا ومعينًا لمواجهة التحديات الفكرية والنفسية في كل زمان، بما يرفد حقل الدراسات القرآنية والعقدية بإسهام جديد.

الكلمات المفتاحية: الدلائل، القصص القرآني، الابتلاءات، الثبات العقدي، النبوة.

Abstract:

This study seeks to uncover the profound theological dimensions of the Qur'anic concept of the Prophet Muhammad's (peace be upon him) consolation, through an analytical examination of selected verses that manifest divine psychological support and reinforcement during moments of missionary adversity and intellectual challenge. It investigates the mechanisms of divine affirmation as a central means of cultivating doctrinal steadfastness and safeguarding the prophetic message in the face of evolving trials.

Adopting an integrative, textually grounded analytical methodology, the research is anchored in the thematic pillars of monotheism, divine decree, faith in the unseen, and the Hereafter. It draws upon the richness of Qur'anic narrative and its existential and psychological resonances to demonstrate how the Qur'anic discourse transcends its historical context to serve as an enduring source of inspiration and an inexhaustible reservoir of resilience in the face of recurring tribulations.

The study ultimately underscores the Qur'an's role in anchoring tranquility within the believer's heart and in serving as a guiding beacon for confronting intellectual and psychological challenges across all eras, thus offering a substantive contribution to contemporary Qur'anic and theological scholarship.

Key words: Indications, Qur'anic narrative, trials, doctrinal steadfastness, prophethood.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد، فالوحي الإلهي لم يُرد به مجرد بيان الأحكام التشريعية وأوامر التكليف، بل هو نور رباني ينفذ إلى القلوب، ويبعث الحياة في الأرواح، ويهدي البصائر إلى الحق، فيجمع بين تقويم السلوك، وتزكية النفوس، وإنارة العقول، ويؤسس الثبات العقدي في لحظات الانكسار، وقد شكّلت التسلية النبوية في القرآن أرقى صور العناية الإلهية؛ إذ غدا البلاء في حياة النبي ﷺ ميداناً لزيادة القرب من الله، وتثبيت الفؤاد، وتعميق معاني التوحيد في مواجهة الشدائد. وإن دراسة هذه الظاهرة ليست محصورة في زمانها الأول، بل هي كشف عن سنة قرآنية ماضية تُجدد معانيها في الوعي الإيماني، لتصل مقامات التوحيد في سيرة المصطفى ﷺ بما يواجهه المسلم في واقعه المعاصر، ومن ثم جاءت هذه الدراسة لتحليل ظاهرة التسلية القرآنية للنبي ﷺ وبيان أبعادها العقدية، وتوجيهها لترسيخ الثبات أمام مواطن الاضطراب الفكري والقلبي، في إطار منهج تأصيلي تحليلي يستمد أصوله من النص القرآني والسياق النبوي، خدمة للبناء العقدي في واقعنا المعاصر.

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية دراسة التثبيت الإلهي وتسلية النبي ﷺ في كونها تجدد الوعي العقدي بمقام الصبر، وتفتح أمام العقل المؤمن أبواب اليقين في زمن يتنازع فيه الشك والثبات، والفتنة والهداية، وفي عالم يكثر فيه اضطراب الشبهات وتشتد فيه المحن، يغدو إدراك حقيقة الابتلاء باعتباره طريقاً إلى رسوخ الإيمان وطمأنينة القلب بالله تعالى أمراً لا بد منه. كما تكشف هذه الدراسة عن السنن الإلهية التي تثبت بها الوحي قلب النبي ﷺ في مواجهة الأذى، مقدمةً للمؤمنين نموذجاً حياً لكيفية تحول الآيات إلى مصدرٍ للتثبيت القلبي والمعالجة العقدية، بما يحفظ الثبات عند المحن، ويؤكد أن القرآن مصدر دائم للقوة والتسديد، وأن المؤمن بعقيدته قادر على تجاوز الأزمات واستعادة السكينة في أوقات الاضطراب.

الدراسات السابقة:

تندرج دراسة "التثبيت الإلهي وتسلية النبي ﷺ في أوقات المحنة: دراسة تحليلية لمقاصد الابتلاء في القرآن الكريم" ضمن حقل الدراسات القرآنية والعقدية التي تناولت موضوع التسلية الإلهية للأنبياء، غير أن تناول الأبعاد العقدية لهذه الظاهرة في سياق سيرة النبي ﷺ ظل محدوداً في الدراسات السابقة، كما سيتضح فيما يلي:

١. دراسة "تسلية الأنبياء والأولياء: دراسة قرآنية" – زهران عمر زهران (مجلة جامعة النجاح للأبحاث، ٢٠١٩): ركزت هذه الدراسة على الجانب التربوي والنفسي لتسلية الأنبياء والأولياء في القرآن، مبيّنة آثار التسلية في توجيه السلوك الإيماني للأفراد، دون التعمق في التحليل العقدي والفكري لتسلية النبي محمد ﷺ بوجه خاص.

٢. رسالة "التسلية في القرآن الكريم: دراسة موضوعية" – زهران عمر زهران (جامعة النجاح الوطنية، ٢٠١٧): تناولت الدراسة مظاهر التسلية في القرآن للأنبياء والنساء المكرمات، وأبرزت الجوانب النفسية والتربوية للتسلية، لكنها لم تتطرق إلى التحليل العقدي لمقاصد التسلية، ولم تستقرأ أثرها في تكوين الثبات العقدي للنبي ﷺ.

٣. رسالة "تسليية الرسول ﷺ من خلال القرآن الكريم" - رابعة أحمد محمد علي تيته (جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٠٨): ركزت الدراسة على إحصاء الآيات التي جاءت لتعزية النبي ﷺ ودعمه أثناء الشدائد، إلا أن تحليلها بقي قاصراً على العرض التفسيري، ولم يستكشف العلاقة بين التسليية والتكوين العقدي للنبي ﷺ أو أثرها في ترسيخ الإيمان والثبات.

٤. دراسة "تسليية الله لنبيه ﷺ في القرآن الكريم: دراسة تحليلية" - سعيد بن دحاج (مجلة جامعة الناصر، اليمن، ٢٠١٥): اهتمت الدراسة بتسليية الله تعالى لنبيه في القرآن من منظور وصفي تحليلي، دون الدخول في تفاصيل الأبعاد العقديية والفكرية لهذه الظاهرة.

وتنفرد هذه الدراسة بعدد من السمات العلمية التي تميزها عن غيرها من البحوث السابقة، فبالرغم من تعدد الدراسات التي تناولت موضوع تسليية النبي ﷺ في القرآن الكريم، فإن هذه الدراسة تبرز بوصفها معالجة عقديية متخصصة، تتجاوز الطرح النفسي أو التفسيري المؤلف، وذلك من خلال:

١. اعتماد منهج عقدي خالص: حيث تستنبط الدراسة المسائل العقديية الكامنة في تسليية النبي ﷺ، كالتوحيد، والقدر، والبراهين النبوية، وهي زوايا لم تتناولها الدراسات السابقة بالعمق الكافي.

٢. تأصيل إشكالية البحث: إذ تطرح الدراسة تساؤلاً جديداً حول غياب التحليل العقدي في تناول ظاهرة التسليية النبوية، وتعيد تفكيكها ضمن أطر عقائدية محكمة.

٣. توسيع نطاق الدراسة: فهي لا تقف عند حدود التعزية أو الدعم النفسي، بل تتعامل مع التسليية بوصفها أداة مركزية لتعزيز الثبات العقدي والفكري للنبي ﷺ، وتكشف عن دورها البنائي في العقيدة الإسلامية.

وعليه؛ فإن هذه الدراسة لا تقف عند حدود ما تناولته البحوث السابقة، بل تسعى إلى تقديم إضافة نوعية في علم العقيدة، وذلك من خلال بناء تصور أصيل لمفهوم التسليية النبوية، بوصفها من الأصول العقديية الكبرى، لا مجرد معالجة تفسيرية أو مقارنة نفسية. وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لعباده، مقبولاً عنده، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم التسليية النبوية في القرآن الكريم في ضوء تصور عقدي تحليلي، وذلك من خلال الأهداف التالية:

١. تأصيل مفهوم التسليية النبوية في ضوء النصوص الشرعية، وبيان موقعها من البناء العقدي الإسلامي.

٢. تحليل المنهج القرآني في التثبيت، وإبراز تكامله مع غايات الرسالة ومقاصد الإيمان.

٣. توضيح الارتباط بين التسليية النبوية ومفهوم الابتلاء والشر، من خلال قراءة عقديية تبرز دلالاتها الإيمانية.

٤. تحرير التصور العقدي للتسليية النبوية بوصفها ركناً أصيلاً في التربية الإيمانية، متجاوزاً حدود التفسير الجزئي أو البعد النفسي المجرد.

٥. ربط الدلالات العقديية للتسليية النبوية بالواقع المعاصر، واقتراح أبعاد تطبيقية تعزز من وعي الأمة بمقاصدها.

مشكلة البحث:

تتحدد إشكالية هذا البحث في السعي إلى فهم وتحليل ظاهرة التسلية النبوية في القرآن الكريم، من خلال استكشاف معالم التثبيت الإلهي لرسول الله ﷺ في أوقات المحنة، وبيان كيف كشفت هذه الآيات عن مقاصد الابتلاء في البناء العقدي للمؤمنين، إجابة على السؤال الرئيس للبحث: ما معالم التثبيت الإلهي وتسلية النبي ﷺ في أوقات المحنة كما عرضها القرآن الكريم، وما مقاصد الابتلاء التي تتكشف من خلال تحليل الآيات ذات الصلة؟
ويتفرع عن هذا الأسئلة الفرعية التالية:

١. ما المفهوم القرآني للتسلية، وما دوافعها وأهميتها للنبي ﷺ وللمسلمين؟
٢. كيف عالج القرآن الكريم قضية التثبيت الإلهي للنبي ﷺ في أوقات المحنة من خلال آيات التوحيد والقضاء والقدر والإيمان باليوم الآخر، وبيان سنن الله في الابتلاء؟
٣. ما أثر قصص الأنبياء والاختبار الإلهي في التسلية عن النبي ﷺ، وما الأبعاد العقدية التي كشفت عنها القرآن في ترسيخ الثبات ومقاصد الابتلاء؟

حدود البحث:

يتحدد نطاق هذا البحث في دراسة الآيات القرآنية التي نص المفسرون على نزولها لتسلية النبي ﷺ، مع الاقتصار على تحليلها من منظور عقدي وفكري، اعتماداً على المصادر الأصلية في التفسير، وكتب السنة والسير، والمؤلفات العقدية ذات الصلة.

منهجية البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي في جمع الآيات التي نص المفسرون على نزولها لتسلية النبي ﷺ، ثم قامت بتحليلها تحليلًا عقديًا يبيّن حكمتها، ويكشف عن حقائقها العقدية وما تحمله من دلالات إيمانية تؤصل للوعي، مع مقارنة أقوال العلماء لتفسيرها، وضبط النتائج وفق أصول العقيدة الإسلامية.

تقسيم البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثمانية مطالب، وخاتمة، وفهارس، وهي على النحو التالي:

أما المقدمة، فتتضمن بيان أهمية البحث، والدوافع العلمية والمنهجية لاختياره، مع تحديد الأهداف الأساسية التي يسعى البحث لتحقيقها، وعرض تقسيماته الرئيسية لتهيئة القارئ لمسار الدراسة.

وأما التمهيد، فيتناول تعريف مفهوم التسلية في القرآن الكريم، ويبرز مكانتها في سيرة النبي ﷺ وفي التجربة الإيمانية للمسلمين عامة، كما يُسلط الضوء على الأسباب والدوافع الربانية لتسلية النبي ﷺ، ويحلل مفهوم الشر في السياق القرآني، مع بيان كيفية مواجهة النبي ﷺ للابتلاءات بوصفها ميدانًا لترسيخ الصبر والثبات.

المطلب الأول فعنوانه: دور آيات التوحيد والألوهية في تسلية النبي ﷺ

المطلب الثاني فعنوانه: دور آيات القضاء والقدر في تسلية النبي ﷺ

المطلب الثالث فعنوانه: دور آيات الإيمان باليوم الآخر في تسلية النبي ﷺ

المطلب الرابع فعنوانه: دور الآيات الدالة على البراهين النبوية في تسلية النبي ﷺ

المطلب الخامس فعنوانه: دور الآيات الدالة على سنن الله في الابتلاء في تسلية النبي ﷺ

المطلب السادس فعنوانه: دور آيات قصص الأنبياء والأمم الغابرة في تسلية النبي ﷺ

المطلب السابع فعنوانه: تسليته ﷺ بذكر الظالمين وأحوالهم
المطلب الثامن فعنوانه: مقاصد الابتلاء في القرآن الكريم من خلال تسليته النبي ﷺ
الخاتمة، فتلخص أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وبيان أهم التوصيات ذات الصلة
بالموضوع، مع إلحاق فهرس المراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.
التمهيد

التسليّة التي خاطب الله بها نبيّه ﷺ في كتابه، أصلٌ عظيم في تثبيت القلوب، وترسيخ
اليقين، وتقوية الإيمان عند ورود الشدائد، إذ أراه الله من آياته ما يبين أن سنته في أنبيائه
وأوليائه جارية، يبتليهم بما يمحص به إيمانهم، ويزيد به يقينهم، ويظهر به حجته على
أعدائه. فجاءت الآيات تذكّره بوعدده الحق، وتربط القلوب بسنته في النصر والابتلاء، وتبين
أن ما يقدره من الشر إنما هو لخير يعقبه، ولتمحيص يميز به الله الخبيث من الطيب. فدراسة
هذا الباب ليست مقصورة على معرفة الألفاظ أو مجرد المعاني اللغوية، بل المراد بيان
مقاصده العقديّة، وما تضمنه من توحيد الله والإيمان بقدره، والتصديق بوعدده ووعيده، ليُعلم
بذلك أن القرآن خطاب دائم، يثبت الله به قلب نبيه والمؤمنين من بعده.
مفهوم التسليّة في القرآن:

رغم أن لفظ "التسليّة" لا يرد بصيغته الصريحة في القرآن الكريم، إلا أن مضمونه
يتضح في مواضع متعددة أشار إليها المفسرون رحمهم الله، حيث عبّروا عنه بمصطلحات كـ
"التثبيت" و"المواساة" و"التعزية"، وهذه المفردات، على تنوعها، تظهر الحكمة الربانية
من تثبيت قلب المؤمن وقت الشدائد، تجديداً للطمأنينة وتأكيداً للثبات، وليكون في ذلك أسوة
للمؤمنين من بعده، وقد فسّر المفسرون – كالطبري (٢٠٠١، ج ١٠، ص ٣١٧) والزمخشري
(١٤٠٧هـ، ج ١٧، ص ٢٥٧) – تلك المواضع على أنها تنطوي على حكمة ربانية تهدف إلى
ترسيخ الثبات والصبر، وتحفيز المؤمنين على مواجهة التحديات بروح الثقة بالله، وعليه،
فإن تناول مفهوم "التسليّة" في القرآن يقتضي ابتداءً بيان أبعاده اللغوية والاصطلاحية، ثم
استقراء مواضعه ودلالاته في سياقاته القرآنية
التسليّة لغة:

تتعدد معاني لفظة التسليّة، ففي الأصل اللغوي، تُشتق التسليّة من مادة (س ل ي) أو
(س ل و) وتدل على الكشف عن الهموم أو نسيانها (الغراهيدي، ٢٩٧/٧)، يُقال "سلوته" أو
"سلاني" بمعنى طيّب نفسي (الغراهيدي، ٢٩٧/٧، والرازي، ١٩٩٩، ص ١٥٣)،
و"انسلى" عنه الهم أي انكشف (الزبيدي، ٢٠٠١، ٢٩٩/٣٨)، و"سلوى" تدل على الرفاهية
وطيب العيش وإزالة الهموم (ابن فارس، ١٩٧٩، ٩١/٣)، وتستخدم التسليّة للإشارة إلى
التنفيس عن المكروب أو تحسين الحالة النفسية (الزبيدي، ٢٠٠١، ٢٩٩/٣٨).
أما التسليّة اصطلاحاً:

فتعرف بأنها: رفع الكرب عن نفس المحزون، وتطيب خاطره بالتخفيف من آلامه
وهمومه، من خلال تزويده بالدعم المعنوي والمادي، مما يعيد إلى نفسه طمأنينتها
وثباتها (المنأوي، ١٣٥٦، ٤٠٥/١).

بناءً على ما تقدّم من التعريفات اللغوية والاصطلاحية، يتضح أن "التسليّة" تمثل مظلة
جامعة لمفاهيم التعزية والمواساة والتثبيت؛ فهي تعزية تعمق الصبر على المصيبة (الرازي،
١٩٩٩، ص ٢٠٨، الزبيدي، ٢٠٠١، ٣٧/٣٩، الأصفهاني، ١٩٩١، ص ٥٦٥)، ومواساة

تلطف وقع الحزن وتنعش الأمل (الأصفهاني، ١٩٩١، ص٧٧، الزبيدي، ٣٧، ٧٥/٢٠٠١، ابن حجر العسقلاني، ١٣٧٩، ٢٥/٧)، وتثبيت يقوي القلب في مواجهة الشدائد (ابن منظور، ٢، ١٤١٤/١٩، المناوي، ١٩٩٠، ص١٥٩)، وهذه المعاني، وإن تنوعت جهاتها، فمقصودها واحد، وهو أن يرد الله على قلب عبده الطمأنينة عند البلاء، ويثبتته على الحق عند الفتنة. فالتسليية في القرآن هي من أعظم وجوه العناية الإلهية بنبيه ﷺ، إذ يكشف الله بها كربته، ويزيد قلبه يقيناً، ويؤكد له صدق رسالته، ليؤدي ما أمره الله به من هداية الخلق وهو في أكمل السكينة والثبات.

رعاية الله لنبيه ﷺ حال يتمه والحكمة من تسليته:

عُرِفَت حياة النبي ﷺ بكثرة المحن منذ نشأته وحتى مماته، وذلك موافق لسنة الرسل كما ورد في الحديث: (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمتل فالأمتل) (أحمد، ٢٧٠٧٩، الترمذي، ١٩٧٥، ٢٣٩٨، وابن ماجه، ٤٠٢٣، والألباني، ٩٩٢)، وقد ذكر المفسرون أن ما جرى للنبي ﷺ من المحن كان موطناً لظهور تسليية الله له وتثبيتته عند البلاء؛ فمنذ أن نشأ يتيمًا، وما مرَّ به من فقد أقاربه، ثم ما لقيه من أذى قومه وردهم لرسالته، كان ذلك كله من حكمة الله تعالى في تمحيص المؤمنين وتثبيت أوليائه، فكانت نشأته شاهدة على الرعاية الإلهية في حال يتمه؛ إذ يقول سبحانه: □ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ٧ وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغَى □ [الضحى: ٦-٨]، وقد بين ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) أن هذه الآيات تشير إلى أن الله جلَّ وعلا تكفل برعايته، فأواه إلى جده عبد المطلب ثم إلى عمه أبي طالب، فكان ذلك من دلائل العناية الربانية التي أحاطت به في يتمه وصباه (ابن كثير، ٤٤٤/٨). وذكر ابن إسحاق أن الله كان وليه وحافظه، يكفله ويهديه ويرببه على عينه حتى بعثه ﷺ (ابن إسحاق، ١٩٧٨، ص٦٦، ١٢٢)، وهكذا كان يتمه ﷺ مظهرًا من مظاهر الإعداد الإلهي، يورث قلبه ثباتًا وتسلييمًا، ويمهد لمعاني التسليية والتثبيت التي لازمتها في جميع مراحل بعثته، كل هذه الابتلاءات عولجت بنزول آيات قرآنية تهدف إلى تثبيت قلبه ﷺ ودعمه في مواجهة الشدائد، كما في قوله تعالى: (وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَفَدَّتْ وَرَكَنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) [سورة الإسراء: ٧٤]، وقوله: (وَكَأَلَّا نَفْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنبِئُ بِهِ فُؤَادَكَ) [سورة هود: ١٢٠]، وقد علق السعدي رحمه الله (١٣٧٦هـ) على هذه الآية بقوله: "نزوله على هذا الوجه أكمل وأحسن...؛ لأنه كلما نزل شيء من القرآن ازداد طمأنينة وثباتًا، خصوصًا عند ورود أسباب القلق، فإن نزول القرآن عند حدوثه يكون له موقع عظيم وتثبيت كبير، أبلغ مما لو كان نازلًا من قبل ذلك" (السعدي، ٢٠٠٠، ص٥٨٢).

وقد تجلَّت التسليية الإلهية في صور متنوعة: منها تذكيره بقصص الأنبياء السابقين، أو بيان عاقبة الظالمين، أو تأكيد معاني التوحيد والقدر، وكلها تصب في تعزيز يقينه، ودفعه لمواصلة الدعوة بقلب مطمئن وإرادة لا تلين؛ لتواسي النبي في لحظات حاسمة من حياته؛ سواء عند فقد الأحبة، أو مواجهة تكذيب قومه، أو عندما اشتد عليه الأذى، وفهم هذه السياقات يساعد على الوقوف على بعض ما أراده الله من الحكم عند إنزال هذه الآيات، وكيف ساهمت في تثبيت قلب النبي ﷺ وتعزيز رسالته، وتقديم نموذج يُحتذى به في الصبر والثبات.

ويُستفاد من هذه النصوص أن التسليية القرآنية للنبي ﷺ لم تكن علاجًا أنيأً لمشاعر الحزن أو الأذى، بل كانت منهجًا ربيانيًا متكاملًا لبناء الصبر وترسيخ الثبات، وإقامة العقيدة

على أصولها في ميدان الابتلاء، وقد كشفت دراسة سياقات نزول هذه الآيات عن مقاصد عقدية وتربوية عميقة، من أبرزها: وصل مسيرة النبي ﷺ بميراث الأنبياء قبله، وتذكيره بسنن الله في الابتلاء، وتصوير مآل الظالمين، ليبقى قلبه مطمئناً بوعده الله، وعزيمته ثابتة على أداء ما أمره الله به. وكانت التسلية بالوحي من أعظم ما ثبتت الله به نبيه ﷺ ورباه عليه وأصحابه على مواجهة الشدائد، وغرس معاني الإيمان الحي في نفوس المؤمنين، لتبقى هذه المعاني ماثلة في وعي الأمة عبر الأجيال، تؤدي دورها في حفظ الرسالة واستدامة أثرها.

مفهوم الشر في السياق القرآني:

الشر من القضايا الكبرى التي شغلت العقل الإنساني، لكنه في التصور القرآني لا يُفهم على أنه نقض للعدالة الإلهية، بل هو وسيلة للتمحيص والاختبار، لذا تُعد الابتلاءات التي تعرض لها النبي ﷺ صورة من صور الشر الظاهري الذي يحمل في باطنه حكمة تربوية وروحية، تصقل النفس وتقرب العبد من ربه.

فالإيمان بالقدر، واليقين بأن ما يصيب الإنسان إنما هو لحكمة يعلمها الله، يمنح النفس راحة وسكينة، ويجعل من المحنة طريقاً إلى الإيمان والرضا، لا طريقاً إلى السخط والشك.

وقضية الشر تُعد من أهم وأعمق المسائل التي واجهها الفكر الإنساني عبر العصور، فهي تطرح تساؤلات حول الحكمة الإلهية والعدالة والغاية من وجود الشر في العالم (القهوجي، ٢٠١٧، ص. ٢١-٢٩، محمد، ص. ٧٤، Ameida, 2008, p.56)، وفي هذا السياق، تُفهم مسألة الشر ضمن القضاء والقدر كجزء من النظام الكوني الذي أراده الله لتحقيق العدالة الإلهية في توزيع الخير والشر، حيث يكمن الخير الحقيقي في الرضا بما يقدره الله، والصبر على ما يصيب الإنسان من ابتلاءات، وهذا الفهم يعمق الإيمان بقدرته الله وحكمته المطلقة، ويعزز من ارتباط المؤمن بخالقه، موقناً بأن كل ما يصيبه هو في ميزان الخير الإلهي، وإن لم يظهر ذلك في لحظته (ابن قيم الجوزية، ١٩٧٨، ص. ١٨١-١٨٢، ابن قيم الجوزية، ص. ١٠٣، عامري، ص. ٩٨، ٩٩).

وتُظهر هذه الابتلاءات الحكمة الإلهية من وجود الشر، فيها يختبر الله إيمان عباده ويرفع درجاتهم، كما أنها تُنبه المسلمين إلى قيمة الخير وتعزز من تقديرهم له، وتُثمي فيهم الفضائل الإيمانية وتقوي ارتباطهم بخالقهم، مما يساعدهم على قبول الشر كجزء من الحكمة الإلهية، وأنه لا يوجد شر مطلق أو غير مبرر أبداً، بل إن الشرور تحتوي على معانٍ ومصالح قد تكون غير واضحة للإنسان (ابن تيمية، ٢٠٠٤، ١٢٣/٨)، لذا فإن فهم الشر يتطلب إدراكاً للبعد الغيبي والإيماني، مع الاعتراف بقصور العقل البشري في الإحاطة بالصورة الكاملة، وإدراك مثل هذا يدفع إلى الصبر والتوكل عليه سبحانه، مما يزيد من إيمانهم وثباتهم وثقتهم وطمانينتهم في مواجهة التحديات والصعاب.

وعليه، فإن ما واجهه النبي ﷺ من شرور وابتلاءات لم يكن خارج دائرة العناية الإلهية، بل كان ميداناً لتفعيل سنة التسلية الربانية، فجاء الوحي قريباً للتثبيت، ودليلاً للتوجيه، وسبباً لرسوخ الإيمان في قلبه الشريف، وهكذا تتجلى التسلية الإلهية بوصفها آلية عقدية عميقة، ترسخ في قلوب المؤمنين الثبات عند المحن، وتغرس فيهم اليقين بسنن الله في النصر والابتلاء، لتكون أصلاً راسخاً يُبنى عليه النظر في المسائل العقدية المتعلقة بتسلية النبي ﷺ.

المطلب الأول: دور آيات التوحيد والألوهية في تسليّة النبي ﷺ:

إن التوحيد هو إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، فلا خالق ولا رازق ولا مدبر للكون سواه، وهو الأصل الذي بُعثت به الرسل جميعاً. وأما الألوهية فهي إفراد الله بالعبادة ظاهراً وباطناً، فلا يُصرف شيء من الدعاء أو النذر أو الاستغاثة إلا له سبحانه، فهي حقّ الله على عباده وغاية وجودهم، وقد قرر المفسرون أن توحيد الألوهية هو لبّ الرسالات السماوية وركيزة الدين كله (ابن تيمية، ٢٠٠٣، ص. ٢٥؛ ابن تيمية، ٢٠٠٣، ص. ١٨).

وبالنظر إلى هذا المعنى الجليل، لم يكن نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ مقصوراً على التشريع أو البيان العقدي المجرد، بل كان ذلك من تمام حكمة الله ورحمته بنبيه ﷺ، إذ سلاه وثبت قلبه على الحق عندما لقي من أذى المكذبين ومعارضتهم، كما أشار المفسرون في مواضع متعددة إلى أن عدداً من السور والآيات نزلت خصيصاً لتحقيق غاية التسليّة الإلهية، بوصفها أداة دعم نفسي ومعنوي، ووسيلة لتثبيت أتباعه في قلب العاصفة، وترسيخ يقينهم بنصر الله وتأييده لعباده المؤمنين، في امتداد لسنة التمكين الإلهي عبر العصور (الطبري، ٢٠٠١، ٩٨/٢٤؛ ابن كثير، ١٩٩٩، ٣٠٥/٨؛ القرطبي، ٢٠٠٦، ٧٣/٢٠؛ البغوي، ١٩٩٧، ٤٥١/٤)؛ وعليه، فإن ما ابتلي به النبي ﷺ من الشدائد لم يكن أمراً عارضاً، بل كان من سنن الله في أنبيائه، ليثبت بها قلوبهم ويظهر بها مقامهم، ويزدادوا بها يقيناً وصبراً، فكانت هذه التسليّة بالوحي من أعظم ما ثبت الله به نبيه ﷺ، وجعلها سبباً لثبات المؤمنين من بعده، ودليلاً على أن الابتلاء سنة جارية، وأن العاقبة لأهل الإيمان.

وكان من أعظم وسائل هذا التثبيت: ترسيخ معاني التوحيد، باعتبارها القاعدة التي تنبني عليها العقيدة، والمصدر الأول للسكينة والاطمئنان في أوقات الفتن والاضطراب، فالتوحيد في المنظور القرآني - ليس مجرد اعتقاد فكري، بل هو إطار وجودي يجعل الإنسان يرى الكون تحت سلطان إله واحد متصرف، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه. ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٢]

تبين هذه الآية بوضوح عقيدة التوحيد، وتؤسس لليقين بأن الله وحده خالق كل شيء، وأنه المتصرف المدير، ومن ثم فهو وحده المستحق للعبادة، وقد جاءت هذه الآية في سياق الرد على مشركي مكة، مما يجعلها تسليّة مباشرة للنبي ﷺ، تؤكد له أن الانتصار للحق واقع لا محالة، وأن موقف المعاندين لا يُنقص من صدق رسالته شيئاً، كما تُظهر الآية أيضاً العلاقة بين الوحدانية الكونية (كون الله خالق كل شيء) والوحدانية الشرعية (وجوب عبادته وحده)، وهو الربط الذي يعمق المفهوم العقدي ويؤسس للطمأنينة في القلب.

وقد تنوعت الآيات التي قررت هذا الأصل العظيم؛ فمنها ما يؤكد وحدانية الله وألوهيته، ومنها ما يستعرض قدرته المطلقة، وكلها جاءت لتعزز الإيمان وتدفع النفس المؤمنة إلى التسليم والرضا بقضاء الله، ومن ثمّ الثبات في تبليغ الرسالة.

فتعززت نفسه عليه الصلاة والسلام وتسلت، ورضيت عن الله، واطمأنت لموعوده - سبحانه؛ لأنه موقن بأن الله معه وهو ناصره، يقول عليه الصلاة والسلام لابنته لما اشتد عليه الأذى من قومه: "لا تبكي يا بنيتي؛ فإن الله مانع أباك" (البيهقي، ٢، ١٩٨٨، ٣٥٠/١٠، ابن هشام، ١٩٥٥، ٤١٦/١) (الألباني، ١٠/٦١٠).

وقبل تناول آيات التسلية يجب أن ندرك بأن الإقرار بالألوهية هو العبودية لله، التي تجعل الإنسان يعي أن كل ما في الكون مُسَخَّر من الله تعالى، ويسير بإرادته وحده، فالله سبحانه قد فطر عباده على معرفته وعبادته، فلا صلاح لقلوبهم ولا حياتهم إلا بذكره وطاعته، فهم في كل شأنهم محتاجون إليه، قائمون بعبوديته في حركاتهم وسكناتهم. فالتوحيد هو أصل الدين، وبه أرسل الرسل، وهو عبادة الله وحده بالباطن والظاهر، لا مجرد علم يُتصور أو فكرة تُعرف، بل هو العمل لله والإنابة إليه في جميع أمور الحياة، تملأ حياة المؤمن باليقين والطمأنينة، وتقوده إلى رؤية كل شيء في الوجود كدليل على وحدانية الله، مما يعزز صموده وثباته أمام التحديات.

ويمكن تقسيم الآيات المتعلقة بعقيدة التوحيد في تسلية النبي ﷺ إلى قسمين: آيات تعزز الوحدانية، وأخرى تبين قدرة الله، وهذه الآيات، سواء التي نزلت في بداية الدعوة أو خلال فترات الشدة، كانت تحمل في طياتها عمق عقيدة التوحيد، والتي شكلت الأساس المتين لإيمان النبي ﷺ وثباته في مواجهة التحديات المختلفة.

كما أن من الآيات التي تعزز قدرة الله المطلقة قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [سورة الأعراف: ٥٤]، فقد أبرزت هذه الآية سلطان الله على الكون كله، بما فيه من ليل ونهار وشمس وقمر ونجوم، وهو تصوير كوني شامل يبعث في قلب النبي ﷺ يقيناً بأن من يصرف الوجود كله قادر على نصره وإهلاك أعدائه، فلا يضره كيد البشر مهما عظم (الطبري، ٢٠٠١، ١٣٦/٩؛ ابن كثير، ١٩٩٩، ٤٢١/٣؛ القرطبي، ٢٠٠٦، ٢٣٨/٧). ومن ذلك أيضاً قوله سبحانه: □ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ □ □ □ □ □، وهي آية تذكر بأن بيده الإحياء والإماتة، وتدبير الزمان نفسه، مما يفتح بصيرة المؤمن على أن الذي يملك الحياة والموت لا يعجزه نصره رسول، وهو ما يعمق أثر التثبيت والسكينة في قلبه الشريف (ابن كثير، ١٩٩٩، ٤٩٨/٥؛ البغوي، ١٩٩٧، ٤٠٩/٥).

وإذا كانت هذه الآيات قد أبرزت قدرة الله المطلقة، فإن آية الأنعام جاءت جامعة بين الوحدانية والقدرة، لتؤكد المعنى وتوسع أثر التثبيت، كتسلية للنبي ﷺ عندما واجه تحديات كبيرة من قومه الذين يعبدون الأصنام، يقول الله تعالى: {ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [سورة الأنعام: ١٠٢]، هذه الآية تؤكد على وحدانية الله بوصفه الخالق والمدبر لكل شيء، مما يعزز يقينهم وإيمانهم بأن الله هو المتصرف في كل الأمور بقدرته المطلقة، ويدفعهم للصبر والاطمئنان على أن الله سيحفظهم ويعينهم وينبئهم، وهذا اليقين شكّل الأساس المتين لثبات النبي ﷺ في مواجهة تلك التحديات، سواء في بداية الدعوة أو خلال فترات الشدة، مؤكدة له ولأتباعه بأن الله هو المعبود الحق، مما يطمئن قلوبهم في مواجهتهم للشرك والتحديات.

كما أن هذه الآية، التي جاءت في سياق تسلية النبي ﷺ، تربط بين الحقيقة الكونية (هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ)، والحقيقة الشرعية (فَاعْبُدُوهُ) التي تؤكد على وجوب عبادته وحده (ابن تيمية، ٢٠٠٤، ٢٧٨/٢٧، ابن تيمية، ٢٠٠٦، ص ٣٦٩)، فهذا الترابط بين الحقيقتين يعيد التوازن والطمأنينة إلى قلب النبي ﷺ وأتباعه، مما يخفف عنهم الشعور بالوحدة، ويمنحهم

اليقين بأن الله هو المسيطر والمتصرف في كل الأمور، وهو الحافظ والمعين، مما يدفعهم للصبر والثبات.

ومن النماذج الأخرى التي جاءت في سياق تثبيت النبي ﷺ سورة الإخلاص، التي تمثل أقصر بيان عقدي لأصل الوجدانية، وهو ما يجعلها تسليية مباشرة عند مواجهة تحديات الشرك، كتسليية ربانية للنبي ﷺ عندما واجه تحديات كبيرة من المشركين في بداية الدعوة، وخاصة عندما كانوا يسألون عن صفات الله، لتؤكد له ولأتباعه عقيدة التوحيد بشكل موجز ومباشر، مما يعزز من فهم وحدة الله وتنزيهه، وهو أمر ضروري للنبي وأتباعه في مواجهة عقائد الشرك، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: 1]، فنزلت هذه السورة لتعريف بوجدانية الله بشكل واضح ومباشر، وهي إعلان لمبدأ التوحيد في مواجهة التعددية الوثنية، لتُرسخ عقيدة التوحيد، حيث يتطلب الأمر تأسيساً قوياً وواضحاً لوجدانية الله في مواجهة الشرك (الواحدى، ٢٠٠٧، ١٦/١٤، ابن تيمية، ١٩٧٧، ص. ١٦٠)، فتمنح النبي ﷺ القوة والثبات في مواجهة المشركين، بوضوحها ومباشرتها، تضع هذه السورة القاعدة الصلبة: أن الله هو المعبود الحق، التي يعتمد عليها النبي ﷺ وأتباعه، مما يمنحه القوة والثبات، ويخفف عنهم الضغوط النفسية في مواجهة المشركين، مؤكداً لهم بأن الله هو المسيطر والمتصرف في كل الأمور.

وبفضل اليقين الذي تبينه سورة الإخلاص، تمكن النبي ﷺ من الثبات أمام تحديات الشرك، سواء في بداية الدعوة أو في كل المرحل، مطمئناً بأن الله وحده المستحق للعبادة، وهذه العقيدة الراسخة منحت النبي القوة والثبات في مواجهة المشركين، مؤكدة أن رسالته تستند إلى أسس عقائدية ثابتة، كما أن التأكيد على وحدانية الله في هذه السورة يُعد رابطاً قوياً بين مفهوم التوحيد كقاعدة عقائدية وبين الثبات في تبليغ الدين.

ومن خلال ما سبق، يتضح أن الآيات القرآنية التي وُجّهت لتسليية النبي ﷺ لم تكن مجرد مواساة وجدانية عابرة، بل كانت تأسيساً عقدياً راسخاً يعيد كل مشهد من مشاهد الابتلاء إلى أصل التوحيد ومقتضياته، فقد غدت عقيدة التوحيد هي المحور الذي تدور حوله طمأنينة القلب النبوي، والركيزة التي يقوم عليها الثبات أمام تحديات الدعوة ومحنها، وهذه النماذج القرآنية تمثل جزءاً أوسع من آيات القرآن الكريم تحمل في بنيتها إشارات توحيدية عميقة تتجاوز الحدث الجزئي إلى سنن الله الكونية، ومن هذا يفتح مجال البحث على مفهوم القضاء والقدر، باعتباره الامتداد العقدي الطبيعي للتوحيد، ومظهرًا من مظاهر الحكمة الإلهية في إحكام تدبير الكون وتوجيه المؤمن نحو مقام الرضا والتسليم المطلق لقضاء الله وقدره.

المطلب الثاني: دور آيات القضاء والقدر في تسليية النبي ﷺ:

إن القضاء والقدر أصلٌ من أصول الإيمان، وهو الإيمان بأن الله تعالى علم الأشياء كلها قبل وجودها، وكتبها في اللوح المحفوظ، وشاءها بمشيئته النافذة، وخلقها بقدرته الشاملة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. فالقضاء هو حكم الله الكوني الذي لا يرد، والقدر هو تقديره للأشياء في أوقاتها وهيئاتها على وفق علمه السابق وحكمته البالغة. وقد قرّر علماء التوحيد أن الإيمان بالقضاء والقدر يقوم على أربع مراتب: العلم، والكتابة، والمشئنة، والخلق (ابن تيمية، ٢٠٠٣، ٨/٤٥٢؛ ابن القيم، ١٩٩٧، ١/٣٧؛ الطحاوي، ٢٠٠٧، ص. ١٢٣؛ ابن أبي العز، ١٩٩٨، ص. ٢٠٤).

وبعد بيان أثر عقيدة التوحيد في تثبيت قلب النبي ﷺ، تأتي آيات القضاء والقدر لتكمل هذا البناء الإيماني، وتغرس في النفس شعورًا عميقًا بالاطمئنان إلى تدبير الله عز وجل، والرضا بما يجري في الكون من وقائع وأحداث، علمًا بأنها ليست وليدة الصدفة، بل هي صادرة عن حكمة إلهية شاملة.

وقد جاءت هذه الآيات تسليية للنبي ﷺ، تخفف من حزنه وتضيق صدره، وتغرس في قلبه الطمأنينة بأن كل ما يلاقيه من تكذيب أو أذى، فهو تحت إرادة الله وعلمه السابق، وأن الأقدار تجري وفق ما رسمه الله بحكمته وعدله.

ومن أبرز هذه الآيات قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ صَدْرًا بِمَا يَقُولُونَ﴾ □ الجبر : □□□، فالخطاب القرآني رحمة من الله وتثبيت لنبيه ﷺ؛ يبين ما في أذى المستهزئين من وقع على النفوس، ثم يصرفه الله عن قلبه، ويثبتته بالوحي، حتى يسكن بالتسليم لربه، ويفتخر بما من الله به عليه من الرسالة، ثم يأتي البيان القرآني في قوله تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [سورة الحديد: ٢٢]، ليؤكد أن كل ما يجري في الكون من أحداث قد سطر في علم الله الأزلي قبل وقوعه، وأنه محكوم بتقدير إلهي لا يتخلف ولا يخطئ، وبهذا المعنى، ينتقل الخطاب من معالجة أثر الأذى القولي إلى ترسيخ أصل عقدي عظيم، هو أن مجريات الحياة كلها جارية على مقتضى القضاء والقدر، وأن هذا التقدير لا ينفصل عن حكمة الله الشاملة ولطفه البالغ، ومن ثم يجد النبي ﷺ، ومعه المؤمنون، في هذا العلم الإلهي المسبق طمأنينة تُعيد لقلبه توازنه، وتمنحه الثبات في وجه الشدائد، كما أشار إلى ذلك (العثيمين، ص ١٤، البغدادي، ١٩٨٧، ص ١١٨).

وكذا آية التغابن: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [سورة التغابن: ١١]، تؤكد أن كل ما يصيب النبي ﷺ بإذن الله، وأن الإيمان بهديه وحكمة قضائه يعيد الطمأنينة إلى القلب (ابن تيمية، ١٩٧٧، ص ١٨٢، السفاريني، ٢٠٠٠، ٣٥٢/١)، فالآية تُعزز اليقين بأن الله يدبر الأمور بحكمة، مما يمنح الثبات في مواجهة الأزمات.

ومن التوجيهات التي نزلت في لحظات الشدة، قوله تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [سورة التوبة: ٥١]، فهذه الآية تمثل ذروة التسليم والثقة بالله، وتُعد تسليية مباشرة للنبي ﷺ، توضح له أن ما يقع عليه وعلى أصحابه إنما هو ضمن تدبير الله الرحيم، وأن المؤمنين لا يعتمدون على الأسباب وحدها، بل يتوكلون على خالق الأسباب. (ابن أبي العز الحنفي، ص ٣٥٣، ابن أبي زمنين، ٢٠٠٤، ص ١٤٩).

وتأتي آية الطلاق لتطمئن النبي ﷺ: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [سورة الطلاق: ٢-٣]، فهذه الآية تذكر بأن الله سيجعل مخرجًا من كل ضيق ويرزق من حيث لا يُتوقع (ابن تيمية، ١٩٧٧، ص ١٣٢، ابن أبي العز الحنفي، ص ٢٤٥)، وهنا التسليية تتجلى في طمأننة قلب النبي ﷺ بأن الله لن يتركه في ضيق، بل سيعينه وييسر له الأمور، مما يخفف عنه الهم ويزيده يقينًا وثباتًا.

ومن الأمثلة: أيضا تسليية الله تعالى لقلوب المؤمنين عند حلول البلاء في المال أو النفس أو الولد أو فيها جميعا وتبشيرهم بالصلاة والهدى والرحمة يقول الله تعالى: {وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ إِشْرَافًا مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّالِحِينَ ۚ الَّذِينَ إِذَا

أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رُجْعُونَ ١٥٦ أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَيْكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ} [سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧]، ففي الآية يخبر الله تعالى أنه يبثلي عباده المؤمنين ويمتحنهم بالخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات ثم سلوا أنفسهم بأن هذا من عند الله تعالى وأنه ملك يتصرف بعباده كيف يشاء، وذكر السعدي: "أن في الآيات تسلية تعين على توطين النفس على المصائب قبل وقوعها لتخف وتسهل وهي تتأمل في ثواب الله تعالى" (السعدي، ٢٠٠٠، ص. ٧٥).

من خلال هذه الآيات، تتجلى بوضوح العلاقة الوثيقة بين التسلية الربانية و عقيدة القضاء والقدر، إذ شكلت هذه الآيات درعاً يحمي النبي ﷺ من مشاعر الحزن، ويعزز يقينه في حكمة الله وعدله المطلق، وهذا اليقين العميق كان الأساس الذي مكّن النبي من مواجهة الشدائد بثبات وعزيمة، مما جعل هذه الآيات مصدراً مستمراً للتسلية الإلهية التي دعمت مسيرته ﷺ، ومع اكتمال هذا البناء العقدي في الإيمان بالقضاء والقدر، يتهبأ الانتقال إلى مبحث الإيمان باليوم الآخر، بوصفه ركناً أصيلاً في الرسالة الإلهية، يحمل في طياته الوعد بالجزاء العادل والرحمة الواسعة للمؤمنين.

المطلب الثالث: دور آيات الإيمان باليوم الآخر في تسلية النبي ﷺ:

إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، وهو التصديق الجازم بكل ما يكون بعد الموت: من فتنة القبر ونعيمه، ثم البعث والنشور، والحشر والحساب، والميزان والصراف، والجنة والنار. وقد قرر علماء العقيدة أن الإيمان باليوم الآخر يشمل جميع ما ورد في الكتاب والسنة من تفاصيله، وهو اليوم الذي تُرد فيه الخلائق إلى الله ليجزئهم بأعمالهم عدلاً وفضلاً (ابن تيمية، ٢٠٠٣، ١٤٥/٣؛ ابن القيم، ١٩٩٧، ص. ٨٧؛ الطحاوي، ٢٠٠٧، ص. ٢٣١؛ البيهقي، ١٩٩٣، ص. ٢٠٥).

وكما يكمل البناء العقدي بالإيمان بالقضاء والقدر، فإن الإيمان باليوم الآخر يأتي ليتم بناء طمأنينة القلب، ويزيد به اليقين ويهدي النفس المؤمنة بوصلة واضحة في مواجهة الظلم وتحديات الدعوة، فإن الإيمان بالآخرة يفتح للمؤمن باب الرجاء فيما وعد الله به من الجزاء بالعدل والفضل؛ فيرى الدنيا دار ممر، والآخرة دار مقر، حيث يجزي الله المحسن بإحسانه، وينيب المجاهد في سبيله بما لا عين رأت ولا أذن سمعت. فتصير الابتلاءات سبباً لزيادة قرب العبد من ربه، ورفعة درجاته، ويزداد بها صبره ويقينه، حتى تسكن النفس، ويطمئن القلب، وينشرح الصدر بما وعد الله به عباده المؤمنين من النعيم المقيم.

وقد كان التذكير بآيات اليوم الآخر من أبرز وسائل التسلية الربانية التي أنست قلب النبي ﷺ وثبتت فؤاده، إذ نزلت هذه الآيات على وجهين: آيات توعد الظالمين بالعذاب الأليم، وآيات تبشر المؤمنين بالنعيم المقيم. وتوزع ورود هذه الآيات على مختلف مراحل الدعوة، فكانت هذه الآيات في كل موطن سبباً من أسباب التثبيت الرباني، يسكن الله بها القلوب، ويزيد بها الصبر والثبات، ويبعث بها الرجاء في رضوانه والفوز بجنته. ومن ثم فالتذكير باليوم الآخر ليس أمراً تابعاً، بل هو ركن أصيل في تسلية الله لنبيه ﷺ، وأساس يقوي الإيمان ويزيد العزم على الطاعة، كما سيتبين في الأمثلة التالية.

على ضوء هذا المعنى، تأتي آية الأحزاب: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا} [سورة الأحزاب: ٥٧] كتسلية ربانية للنبي ﷺ، حيث

تؤكد له أن من يعادونه ويؤذونه لن يفلتوا من العقاب الإلهي، سواء في الدنيا أو في الآخرة (ابن تيمية، ٢٠٠٤، ٣٠٠/١٥)، مما يمنحه الطمأنينة والثبات في مواجهة أذى الكافرين.

كما أن هذه الآية، بتذكيرها بعقوبة الله الأبدية، تربط بين العقاب في الدنيا والآخرة، مما يعمق اليقين في قلب النبي ﷺ بأن الله هو المنتقم الجبار، وأن النصر قادم لا محالة، وهذا الدمج بين العقاب الدنيوي والأخروي يعزز من عزيمة النبي ﷺ، ويؤكد له أن دعوته محفوظة بأمر الله، وأن المصير المحتوم لأعدائه هو الهلاك والعذاب، مما يخفف عنه أعباء المواجهة مع الكافرين ويدفعه لمواصلة رسالته بثبات.

ثم نجد في سورة الزمر، عند قوله تعالى: {وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ أَلْسُوءٌ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [سورة الزمر: ٦١]، تثبيتاً إضافياً على أن الله ينجي المتقين، الأمر الذي يبعث في النبي ﷺ السكينة بأن عاقبة المؤمنين هي النجاة (ابن تيمية، ١٩٨٦، ٢٤٥/٥)، وهذا الإحساس بالأمن يقوي جلده في مواجهة الصعاب، حيث يعلم أن الله الناصر والمعين، وأن كل ما يواجهه من أذى في الحياة الدنيا هو ابتلاء يسير أمام الجزاء الدائم في الآخرة.

ثم تأتي آيات أخرى لتزيد في بيان التثبيت القرآني، مقررّة أن قلوب الكافرين مختومة لا تهتدي، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [سورة البقرة: ٦-٧]، قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): "أي غطوا الحق وستره وقد كتب الله تعالى عليهم ذلك سواء عليهم إنذارك وعدمه فإنهم لا يؤمنون بما جنتهم به" (ابن كثير، ١٩٩٩، ٨٣/١) وهذه تسليّة لقلب النبي ﷺ، بأن الأمر كله لله، فلا يؤمن إلا من كتب الله له السعادة، ولا يضل إلا من كتب الله عليه الشقاوة.

فهذا التوازن في الخطاب يهب النبي ﷺ تثبيتاً يتمثل في اطمئنان إلى مآل المؤمنين، وتسليّة من إصرار الكافرين، إذ ليس عليه إلا البلاغ، أما الهداية والإضلال فبيد الله وحده (ابن كثير، ١٩٩٩، ٨٣/١)، وبهذا يعلم ﷺ أن النجاة مضمونة لأهل التقوى، وأن عناد الكافرين لا ينقص من صدق رسالته، مما يضاعف قدرته على الصبر والثبات.

وأما في الغاشية، فنجد تصويراً للنعيم الأخروي الذي ينتظر المؤمنين عند قوله تعالى: {وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ} [سورة الغاشية: ٨]، فهذا الوصف يسهم في تسليّة النبي ﷺ، حيث يذكره بجزء المؤمنين في الآخرة، مما يساعده على تحمل صعوبات الدنيا بانتظار هذا الجزاء العظيم، ففي ظل هذه الآية، يجد النبي ﷺ تعزيزاً لليقين بأن ما يلاقيه من مصاعب هو مقدمة للنعيم الدائم (المعلمي، ص ١٦١).

وفي قوله تعالى: {فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٌ} [سورة الواقعة: ٨٩]، يأتي وعد الله بجنة النعيم الأبدي كأقصى درجات المكافأة للمؤمنين الصابرين (ابن تيمية، ١١٧/٢)، مما يجعل النبي ﷺ يزداد صبراً وثباتاً في وجه المصاعب، مطمئناً بأن الله سيكافئه وأتباعه الصابرين المحتسبين بأعلى درجات النعيم.

ومن خلال ما سبق، يتضح أن آيات الإيمان باليوم الآخر كانت من أعظم وسائل التسليّة الربانية التي ثبتت الله بها قلب نبيه ﷺ، إذ قرّرت في نفسه أصل الرجاء في وعد الله الصادق، وربطت يقينه بما أعدّه الله لعباده من الجزاء العادل، فكان ذلك سبباً في قوة صبره

واحتسابه، وخففت عنه ثقل البلاء بما قررته من أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وأن الآخرة دار الجزاء والوفاق، حيث يظهر كمال عدل الله، ويتفضل على أوليائه برحمته ورضوانه. وبذلك صارت هذه الآيات من أعظم ما يورث العبد الصبر واليقين، ويقوّي عزمته على لزوم طاعة الله، والثبات على دعوته حتى يلقي وعده الحق.

المطلب الرابع: دور الآيات الدالة على البراهين النبوية في تسليّة النبي ﷺ:

إن النبوة اصطفاؤه إلهي يخصّ الله به من يشاء من عباده، فيوحي إليهم بشرعه، ويؤيدهم بمعجزاته، ليكونوا وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ رسالته، وهداية عباده إلى سبيله. وقد قرر أهل السنة أن النبوة ليست مكتسبة، بل هي محض اختيار إلهي قائم على العلم والحكمة، وأن من خصائصها العصمة في التبليغ، والتأييد بالوحي والمعجزة (ابن تيمية، ٢٠٠٣، ٢٩٠/١٠؛ ابن القيم، ١٩٩٧، ٣٨٥/٢؛ الطحاوي، ٢٠٠٧، ص. ٢٤٥؛ الآجري، ١٩٩٩، ٦٧٣/٢).

وإذا كان التذكير باليوم الآخر قد أمدّ النبي ﷺ بيقينٍ راسخ في موعود الله، وربطه بجزاء الآخرة وعدلها، فإن جانباً آخر من التسليّة الربانية تمثل في الآيات الدالة على البراهين النبوية، التي جاءت تثبت صدق الرسالة وتؤكد أن ما يحمله ﷺ من البلاغ ليس قولاً مفترى، بل وحيّ أوحاه الله إليه، لقد شكّلت هذه البراهين – بما اشتملت عليه من دلائل حسية ومعجزات بيّنة – رداً عملياً على شبهات المعاندين، وإبطالاً لأقوال المكذبين، فكانت تقوّي قلبه في مواقف الشدة، وتزيده ثباتاً على دعوته، وتؤكد له أن تأييد الله ملازم له في كل مراحل البلاغ، وهذه الدلائل يمكن تصنيفها إلى قسمين رئيسيين: براهين حسية، وأخرى غيبية دلّت على استمرار نصره الله لنبيه، لتكون جميعها شواهد متجددة على صدق النبوة، وعلامات واضحة على أن العقابة للحق وأهله.

أولاً: البراهين الحسية

من أبرز الآيات التي مثلت دلالة حسية على صدق نبوته، معجزة انشقاق القمر، قال تعالى: ﴿أَفَتَرَبُّبِ السَّاعَةِ وَأَنْتَقُ الْقَمَرُ﴾ [سورة القمر: ١]، مؤكداً لنبيه ﷺ كمال قدرته بإظهار آياته للعالمين ليثبت صدق رسالته (ابن أبي العز الحنفي، ص. ٤٠٤، الحكمي، ٢٠٠٠، ٦٨٩/٢)، وهذا الدعم الإلهي يأتي ليعزز ثبات النبي ﷺ، مثبتاً له وللمؤمنين أن الله هو المهيم على كل شيء، وأن تأييده لنبيه لن ينقطع.

وقد وقعت هذه المعجزة استجابة لطلب قريش، وهي من أعظم الشواهد على عظمة ما أوتيه النبي ﷺ من آيات، فجاءت هذه الحادثة لتدحض تكذيبهم وتمنح النبي ﷺ تأييداً ظاهراً، يقطع به حجة خصومه.

كذلك تُعد حادثة الإسراء والمعراج من أعظم صور التسليّة الإلهية، حيث أُسري بالنبي ﷺ حتى بلغ سدره المنتهى ورأى من آيات ربه الكبرى، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء: ١]، وقال سبحانه في وصف المعراج: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزَّلَةً أُخْرَى ١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ١٥ إِذْ يَعْشَى الْسِدْرَةَ مَا يَعْشَى ١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ١٧ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [سورة النجم: ١٣-١٨].

لقد جاءت هذه المنحة الربانية في مرحلة عصيبة من حياة النبي ﷺ، بعد عام الحزن وما لقيه من أذى، فكانت تعويضاً من الله تعالى، ورفعاً لشأن نبيه، وتقويةً لعزمته، وتأكيدياً

على مكانته الفريدة عند الله، وعلى ضوء هذا المعنى، وبالمثل، فإن حادثة الإسراء والمعراج جاءت كأحد أعظم مظاهر التسلية الإلهية، لتمنح النبي ﷺ تسلية عظيمة في مواجهة مشقات الدعوة، حيث أُسري بالنبي ﷺ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عُرج به من هناك إلى السماوات العُلا، ليشهد من آيات ربه الكبرى، يقول تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [سورة الإسراء: 1]، فكانت الحادثة تذكيراً بمكانته ﷺ العظيمة عند الله، وتأكيداً على أن ما يلاقيه من مشاق في الدنيا ليس إلا اختباراً لإيمانه وثباته (الحكمي، ٢٠٠٠، ١٥٨/٣).

وكذلك نزول المطر الذي ورد ذكره في الأنفال خلال غزوة بدر، كان بمثابة تجسيد للرعاية الإلهية في أشد الأوقات حرجاً، {إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْغُيُومَ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ} [سورة الأنفال: ١١]، إشارة إلى عنايته بالنبي ﷺ وبالمؤمنين، مما يزيد يقينهم بأنه سبحانه معهم في كل مواجهة (ابن تيمية، ٢٠٠٤، ٢٥٠/١٢).

ثانياً: البراهين الغيبية القرآنية

إلى جانب البراهين الحسية، جاءت البراهين الغيبية القرآنية لتؤدي دوراً عميقاً في تثبيت قلب النبي ﷺ، إذ حملت في طياتها دلائل نبوية لا تقل قوة عن الآيات المشهودة، وكذلك الآيات الحسية؛ لأنها منقولة بالتواتر الذي لا يمكن التشكك فيه، ومن أبرز صور هذه البراهين التي سلّت النبي ﷺ وثبتت فؤاده: الإخبار بالمغيبات، كما في قوله تعالى: {غُلِبَتِ الرُّومُ ... وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} [الروم: ٢-٣]، وقد وقع كما أخبر به الوحي؛ والتحدي القرآني للعرب – وهم أرباب الفصاحة – أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله فعجزوا، كما في قوله تعالى: {قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْإِنْسُ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: ٨٨]؛ وحفظ الوحي من التحريف كما وعد الله بقوله: {إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩]، وكلها دلائل قاطعة على صدق النبوة، ومصدر دائم لتثبيت قلب النبي ﷺ ودحض إنكار المكذبين.

فلقد كانت البراهين النبوية – الحسية منها والغيبية والقرآنية – من أعظم وجوه التسلية الربانية للنبي ﷺ، إذ أمدته بأدلة قاطعة على صدق رسالته، وأقامت له الحجة على المعاندين، ورسخت في قلبه اليقين بأن ما جاء به وحي من عند الله، كما أكدت له أن معية الله قائمة بالرعاية والتأييد في كل طور من أطوار دعوته، وأن العقاب للحق الذي يحمله، مهما اشتدت سبل الإنكار وتكاثرت شبهات المبطلين.

المطلب الخامس: دور الآيات الدالة على سنن الله في الابتلاء في تسلية النبي ﷺ:

في ظل الأزمات والابتلاءات التي يجريها الله بمشيئته في خلقه، تتجلى حكمة الله في أن الابتلاءات من سنن الله الكونية التي لا تتغير ولا تتبدل، فليست شرّاً محضاً، بل تنطوي على حكم بالغة ومقاصد إلهية، فيها تمييز الصادق من الكاذب، ورفع درجات المؤمنين، وإنزال العقوبة بالمكذبين، وقد دلّ القرآن الكريم على أن الهداية فضل من الله يؤتیه من يشاء، وأن الإضلال عدل منه سبحانه، كما قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [سورة العنكبوت: ٤٠]، وقد بين الله لنبيه في كتابه الكريم سننا مضت في الأولين، وهي جارية في الآخرين، وتلك السنن ثابتة {وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} [سورة

فاطر: ٤٣]، قال الله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٧].

ومن تلك السنن التي ذكرها الله في كتابه، وكان فيها تسليية للرسول ﷺ أنه جعل لكل نبيا أعداء، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْإِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١١٢]، قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) عند قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾: "اعتراض قصد منه تسليية الرسول صلى الله عليه وسلم والواو واو الاعتراض، لأن الجملة بمنزلة الفذلكة، وتكون للرسول صلى الله عليه وسلم تسليية بعد ذكر ما يحزنه من أحوال كفار قومه، وتصلبهم في نبذ دعوته، فأنبأه الله: بأن هؤلاء أعداؤه، وأن عداوة أمثالهم سنة من سنن الله تعالى في ابتلاء أنبيائه كلهم، فما منهم أحد إلا كان له أعداء، فلم تكن عداوة هؤلاء للنبي عليه الصلاة والسلام بدعا من شأن الرسل. فمعنى الكلام: ألسنت نبيا وقد جعلنا لكل نبي عدوا إلى آخره... إذ المقصود الإعلام بأن هذه سنة الله في أنبيائه كلهم، فيحصل التأسى والقذوة والتسليية" (ابن عاشور، ١٩٨٤، ٨-٨/أ).

ومما سلي به كذلك أنه سبحانه لم يشأ أن يجعل الناس كلهم مؤمنين، بل مشيئته اقتضت أن منهم المؤمن ومنهم الكافر قال تعالى بعد أن ذكر أنه بعث في كل أمة رسولا: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضلالة﴾ [سورة النحل: ٣٦]، ومثله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: ٩٩]، قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): "عطف - يعني الآية السابقة- على جملة (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ) [سورة يونس: ٩٦] لتسليية النبي صلى الله عليه وسلم على ما لقيه من قومه. وهذا تذييل لما تقدم من مشابهة حال قريش مع النبي صلى الله عليه وسلم بحال قوم نوح وقوم موسى وقوم يونس. وهذه الجملة كالمقدمة الكلية للجملة التي بعدها، وهي جملة: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ﴾ المفرعة على الجملة الأولى، وهي المقصود من التسليية... والمعنى: لو شاء الله لجعل مدارك الناس متساوية منساقاة إلى الخير، فكانوا سواء في قبول الهدى والنظر الصحيح.... فالمعنى: لكنه لم يشأ ذلك" (ابن عاشور، ١٩٨٤، ١١/٢٩٢، القاسمي، ١٤١٨، ١٤٠/٦، الرازي، ١٤٢٠، ١٠٧/١٣، ابن كثير، ١٩٩٩، ٣/٣١٤، الجزائري، ٢٠٠٣، ١٠٢/٢).

ومن السنن التي بينها سبحانه لنبيه، وسلاه بها وصفه النفس البشرية بالظلم، وأن الإنسان ظلوم كفار، والظالم قد يعلم الحق ولكنه يجده، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعَلْمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٣٣]، قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): "يقول تعالى مسلما لنبيه ﷺ، في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه: ﴿قَدْ نَعَلْمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ أي قد أحطنا علما بتكذيبهم لك وحزنك وتأسفك عليهم كقولهم: ﴿فَلَا تَذَهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [سورة فاطر: ٨] وفي الآية الأخرى: ﴿لَعَلَّكَ بُخِعَ نَفْسُكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٣]، ﴿فَلَعَلَّكَ بُخِعَ نَفْسُكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَٰلِكَ الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [سورة الكهف: ٦] وقوله: ﴿فَأِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٣٣] أي: هم لا يتهمونك بالكذب في نفس الأمر، ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم" (ابن كثير، ٣، ١٩٩٩/٢٤٤).

ومن السنن كذلك سنة الإملاء والاستدراج، فالله تعالى بين لنبيه في كتابه وسلاه بهذه السنة، وقال له: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ [سورة مريم: ٨٤]، وقال له بعد أن قص عليه قصة لوط: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [سورة هود: ٨٣]، فالله يملئ للظالم فإذا أخذه لم يفلته، قال ﷺ: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود: ١٠٢]) (البخاري، ١٣١١، ٤٦٨٦، ومسلم، ٢٥٨٣)، ومثله قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُطَمِّئُ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُطَمِّئُ لَهُمْ لِيَزِدُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٨].

ومن السنن بيانه سبحانه أن من أضلهم الله وختم على أسماعهم وقلوبهم، وجعل على أبصارهم غشاوة فلن تهديهم يا محمد، ولو جاءتهم كل آية، لأن كلمته حقت عليهم أنهم لا يؤمنون، قال تعالى: ﴿وَمِنَهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ٤٣ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة يونس: ٤٣-٤٤]، وهذه تسليية من الله تعالى لنبيه ﷺ، يبين له أنه كما لا يملك إسماع من سلب السمع، ولا إحياء بصر الأعمى، فكذلك لا يملك هداية من قضى الله بعدم إيمانه، إذ إن الله لا يظلم الناس شيئاً، وإنما هم يظلمون أنفسهم بالكفر والمعصية (الثعلبي، ٢٠١٥، ١٣٤/٥).

ومما سبق، يتبين أن تسليية الله تعالى لنبيه محمد ﷺ تجلت في ترسيخ حقيقة ثبات سننه الكونية التي لا تتبدل ولا تتحول، إذ أوضح له أن لكل نبي أعداء، وأن حكمته اقتضت ألا يكون الناس جميعاً مؤمنين، بل يختار بعضهم الكفر فيظلمون أنفسهم، كما قرر سبحانه أن القرى الظالمة مآلها الهلاك مهما طال الأمد، وأن سنة الإملاء والاستدراج إنما هي إمهال للظالمين ليزدادوا إثماً حتى يأتيهم العذاب المحتوم، وفي سياق الابتلاء، بين جل وعلا أنه يميز الخبيث من الطيب، وأن من قضى بإضلالهم لن ينتفعوا بآية، ولو أبصروها عياناً.

المطلب السادس: دور آيات قصص الأنبياء والأمم الغابرة في تسليية النبي ﷺ

إن أنبياء الله ورسله هم صفوة خلقه وأكرمهم عليه، اصطفاهم بالوحي، وأيدهم بالبينات، وحملهم أمانة البلاغ المبين للناس كافة (الطبري، ٢٠٠١، ٣٩٩/٩)، وقد جعل الله في قصصهم الواردة في القرآن الكريم تسليية عظيمة لقلب نبيه محمد ﷺ، وتقوية لفؤاده أمام ما يلاقه من صعاب الدعوة وتحدياتها، فهذه القصص ترسخ في نفسه أن دعوته حلقة موصولة بسلسلة النور الممتدة عبر رسالات الأنبياء، وأن العاقبة للمتقين مهما طال طريق الابتلاء، وفي كل قصة تلوح حكمة إلهية تؤكد أن النصر آتٍ بوعد الله، وأن سنة المداولة بين الحق والباطل ماضية، فيزداد النبي ﷺ يقيناً وثباتاً، مستحضراً أن دعوته، كدعوات من سبقه، ماضية إلى غايتها بفضل الله وتأييده.

فالقرآن يذكر قصة نوح عليه السلام الذي صبر على إغراض قومه حتى أغرقهم الله بالطوفان ونجاه ومن آمن معه، و مشهد إبراهيم عليه السلام وهو يلقي في النار، ولكن كانت برداً وسلاماً عليه بفضل توحيده الخالص وثباته أمام قومه، وصورة يوسف عليه السلام الذي غدر به إخوته، لكنه خرج من ظلمات السجن إلى نور التمكين بفضل صبره وتقواه، وقصة موسى عليه السلام الذي تحدى طغيان فرعون، ليجد النبي ﷺ الأمل في مواجهته لكفار قريش، إذ إن الله نجى موسى وقومه بمعجزات بسطت لهم البحر طريقاً، وأغرقت أعداءهم، فهذه القصص القرآنية ليست مجرد تسليية، بل تؤكد للنبي ﷺ والمؤمنين أنهم ليسوا وحدهم في هذا الطريق، وأن في رسل الله وأنبيائه أسوة حسنة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ

الْآخِرَ) [سورة الممتحنة: ٦]، فإن كذبت فقد كذبوا، ولئن أخرجك قومك فقد أخرج أنبياء من ديارهم (البخاري، ١٣١١، ٣، ومسلم، ١٦٠) وأموالهم بغير حق، يقول ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "إنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا فنشبه حالنا بحالهم ونقيس أواخر الأمم بأوائلها، فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدم" (ابن تيمية، ٢٠٠٤، ٤٢٥/٢٨، السيوطي، ٣٩٩/٢، القشيري، ١٩٢/٣).

وقد عرضت تلك القصص صنوفاً من البلاء الذي لقيه أولئك الرسل، فمنهم من ابتلي بالمرض، ومنهم من ابتلي بفقد ولده، ومنهم من ابتلي بشدة تكذيب قومه فلم يؤمن معه إلا قليل، ومنهم من طرد، ومنهم من قتل، فينتقل القارئ المتدبر من قصة لقصة، ومن مشهد لمشهد، ومن بلاء إلى بلاء، في عرض بديع متتابع، سماه المولى أحسن القصص، وما هذا إلا لتسليية النبي ﷺ الذي أنزل القرآن علي قلبه مسلماً ومثبتاً، قال تعالى في آخر سورة هود بعد أن ذكر فيها عدداً من الأنبياء: (وَكَأَلَّا نَفْصُ عَلَيَّكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) [سورة هود: ١٢٠]، يقول السعدي (ت: ١٣٧٦هـ): "ما نثبت به فؤادك: أي قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالافتقار وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهد، وكثرة من قام به" (السعدي، ٢٠٠٠، ص ٣٩٢).

ومن تلك الآيات التي ورد فيها ذكر عام للأنبياء والرسل، وجاءت لتسليية النبي ﷺ قوله تعالى: (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) [سورة فاطر: ٤]، ففي هذه الآية يطمئن الله النبي ﷺ بأن تكذيب قومه له لا ينبغي أن يحزنه، فهذا التكذيب هو سنة متبعة بين الأمم السابقة مع رسلهم، وأن مشركي قومه سيسلكون نفس طريق الأمم السابقة في التكذيب، وأنه في نهاية الأمر، ستعود الأمور إلى الله، حيث سيجازي الكافرين بالعقاب وينجي المؤمنين، فإذا علم أن الأنبياء عليهم السلام استقبلهم مثلما استقبله، وأنهم صبروا وأن الله كفاهم، فهو يسلك سبيلهم ويفتدى بهم، وكما كفاهم علم أنه أيضا يكفيه (الطبري، ٢٠٠١، ٤٣٩/٢٠، الزمخشري، ١٤٠٧، ٥٩٨/٣).

ومثله قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) [سورة الأنعام: ١١٢]، (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) [سورة الفرقان: ٣١]، وفيهما تعزية له ﷺ عما يجده من تكالب الأعداء عليه، وتواطؤهم على الصد عن دين الله، بذكر أن جميع الأنبياء قبله واجهوا أعداءً من قومهم، تماماً كما يواجه النبي ﷺ من مشركي قومه، وهذا الابتلاء ليس خاصاً به وحده، بل هو اختبار مر به كل الأنبياء ليميز الله أولي العزم منهم، لذلك، يُطلب من النبي ﷺ الصبر كما صبر الأنبياء والرسل من قبله (فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) [الأحقاف: ٣٥] (الطبري، ٢٠٠١، ٥٠/١٢، ابن عادل، ١٩٩٨، ٥٣٠/١٤).

ونبينا ﷺ بشر، قال الله عنه: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) [سورة الكهف: ١١٠]، والنفس البشرية من فطرتها أنها تأنس بالمشاركة، وتصبر متى ما علمت أن معها من يشاركها هذا البلاء، فتذكيره ﷺ بقصص الرسل والأنبياء من أعظم وسائل وطرائق تسليته؛ لأنها توافق أمراً غريزياً فيه، وهو من طبيعة النفس وفطرتها، فهي تأنس إذا علمت أن هناك أقواماً ابتلوا

ببلائها، سواء في زمنها أو في أزمنة مضت، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتِمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَرُزُلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة: ٢١٤].

المطلب السابع: تسليته ﷺ بذكر الظالمين وأحوالهم:

من يتأمل مسار نزول القرآن الكريم منذ بعثة النبي ﷺ حتى اكتمال الوحي، يدرك أن من أساليب التسلية الربانية التي خاطب الله بها نبيه، تسليته بذكر أخبار الظالمين من الأمم الغابرة، وما آل إليه مكرهم وتكذيبهم لرسولهم من الهلاك والدمار الشامل لهم ولأقوامهم، فقد عرض القرآن نماذج متكررة لمصائر المكذبين، مبيناً أن الله أخذهم بذنوبهم: فمنهم من أرسل عليه حاصباً، ومنهم من أغرق، ومنهم من خسف الله به وبيداره الأرض، وليس ما قصه الله من أخبار الرسل وأقوامهم لمجرد الحكاية، ولكن أنزله للعظة والاعتبار، وليثبت به الله فؤاد نبيه ﷺ والمؤمنين، ليُعلم أن ما أخبر الله به حق، وأن وعده ووعيده كائن لا محالة، وبيان أن سنن الله في الظالمين ماضية لا تتبدل، وأن ما حلّ بالأمم السابقة سيجري نظيره على من يسلك سبيلهم، وقد نبّه البقاعي (ت ٨٨٥هـ) إلى أن هذه القصص ليست لمجرد الإخبار، بل للتنبيه والاعتبار؛ إذ تتكرر نظائر تلك المواقف والأحوال في هذه الأمة، فيكون فيها تحذير للمكذبين، وتثبيت للمؤمنين، وتسلية للنبي ﷺ في مواجهة المكابرة والجحود (البقاعي، ٥٢٤/٨-٥٢٥).

وقد بين الله في كتابه حال المكذبين في التعامل مع رسولهم بياناً واضحاً، وذكر طريقتهم في التعامل مع رسولهم وأن معاملتهم واحدة لم تتبدل، (كذلك ما أتى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ٥٢ أَتَوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَٰغُونَ) [سورة الذاريات: ٥٢-٥٣]، فعادتهم السخرية والاتهامات الباطلة، والتكذيب واستعجال العذاب، فكان ذلك سبباً في هلاكهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سورة الملك: ١٨]، وهذا البيان فيه تسلية له ﷺ لأنه كان يضيق صدره من تكذيب قومه، ويسوؤه ذلك، قال تعالى عنه: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّاكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [سورة الحجر: ٩٧]، فبين الله له من خلال تلك القصص وأحوال تلك الأمم أن هذا هو نهج الأمم السابقة مع أنبياء الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ٧ فَاهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الزخرف: ٧-٨].

ومن المعلوم أن حياته ﷺ كانت مليئة بالمواقف المؤلمة، ومن أشد المواقف التي تعرض لها ﷺ هو إخراجها من بلده بغير حق، ويدل على شدة ذلك على نفسه، أنه في بداية البعثة لما قص خبره على ورقة، قال ﷺ في آخر كلامه: (أو مخرجي هم؟) (البخاري، ١٣١١، ٣، ومسلم، ١٦٠) وكأنه يستنكر هذا الفعل منهم، ومما سلى به في هذا الموطن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ٧٦ سُنَّةً مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٧٦-٧٧]، فقوله: ﴿سُنَّةً مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ "يعني أن كل قوم أخرجوا نبيهم من ظهرا نبيهم فسنة الله أن يهلكهم" (الرازي، ١٤٢٠، ٢١/٣٨١، الطبري، ٢٠٠١، ٢٢/١٦٥).

وذكر أخبار أولئك الأقوام وما واجهوا به رسولهم من تكذيب وطغيان، كان فيه تسلية عظيمة للنبي ﷺ ولأمتة؛ إذ يرسخ اليقين بأن الظلم مهما طال أمده فمصيره إلى زوال، وأن العاقبة للتقوى، وهي سنة ماضية لا تتبدل، فقد أهلك الله تلك الأمم على ما كان لها من قوة

وبأس، وهو سبحانه بالمرصاد للظالمين، يرصد أعمالهم ويجزيهم عليها، وفي ذلك عزاء للنبي ﷺ عما لقيه من قومه، وتطمين له بأن الله كفيلاً بنصره وإهلاك أعدائه.

المطلب الثامن: مقاصد الابتلاء في القرآن الكريم من خلال تسليية النبي ﷺ

إن دراسة الآيات التي نزلت لتسليية النبي ﷺ تكشف بجلاء أن الابتلاء في التصور القرآني ليس أمراً عارضاً، بل هو سنة ربانية جارية ذات مقاصد عقديّة وتربوية عميقة، وقد تجلّت هذه المقاصد في سياق تثبيت النبي ﷺ ودعمه في أوقات الشدائد، وتربط الأمة بمعاني العبودية والصبر، ويمكن إجمال أبرزها فيما يلي:

١- ترسيخ التوحيد واليقين

الشدائد تعيد القلوب إلى ربها، وتجدد الاعتراف بوحدانيته وقدرته المطلقة، فلا ملجأ ولا نصير سواه، فجاءت آيات التوحيد والألوهية لتؤكد أن الابتلاء يعيد القلوب إلى الله وحده، ويعمّق الشعور بأن الله هو المدبّر الوحيد للكون، فلا يملك أحد نفعاً أو ضرراً إلا بإذنه، فكانت المحنة تذكيراً دائماً بأن الملجأ هو الله، وأن الاستعانة لا تكون إلا به، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

٢- تمييز الصفوف وكشف الحقائق

الابتلاء يمحصّ القلوب، فيكشف المؤمن الصادق من المنافق، وتظهر المواقف على حقيقتها، وقد أشارت الآيات إلى هذا المقصد حين قررت أن الابتلاء سنة ماضية لاختبار الناس: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُنزَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]، وهذا المقصد يقطع دابر الادعاء المجرد، ليظهر أن الإيمان ليس دعوى بلا برهان، بل ثبات عند الامتحان.

٣- تربية الأمة على الصبر والرضا

جعل الله التسليية في الابتلاء مدرسة تربوية ترقّي المؤمنين في مقامات الصبر والتسليم، ومن أوضح الآيات الدالة على هذا المقصد قوله تعالى: ﴿وَأَلْبَسُواكُمْ بَشِيئَةً مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، فالابتلاء هنا ليس نقمة، بل طريق إلى نيل رحمة الله وهداه.

٤- رفع الدرجات وتكفير السيئات

مقصد آخر من مقاصد الابتلاء يتمثل في أن الابتلاء سبب لرفعة المؤمنين في منازل الآخرة، وتكفير خطاياهم في الدنيا، وقد صح في الحديث (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل) (أحمد، ٢٧٠٧٩، الترمذي، ١٩٧٥، ٢٣٩٨، وابن ماجه، ٤٠٢٣، والألباني، ٩٩٢)، ليكون لهم أعظم الأجر. وهذا المقصد يُظهر حكمة الله في تربية أوليائه وتطهيرهم ليكونوا أنقى قلوباً وأقوى عزيمة، وليقتدي بهم أتباعهم في الصبر والثبات.

٥- تثبيت النبي ﷺ واستمرارية الرسالة

يتجلّى في مقاصد الابتلاء - كما ورد بيانها في القرآن الكريم - أوضح صور التثبيت الإلهي وتسليية النبي ﷺ في أوقات المحنة؛ إذ جعل الله الآيات التي قصّها عليه سبباً لتثبيت فؤاده عند تكذيب قومه، قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِّنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]، فدلّت الآية على أن ما قصّه الله من أخبار المرسلين كان لتحقيق مقصود عقدي عظيم، وهو تثبيت قلب نبيه ﷺ على الحق، وبيان أن سنته في أنبيائه ماضية: يبتليهم ثم ينصرهم، ليعلم أن العاقبة لهم وأن ما أوحاه إليه حق لا ريب فيه.

وهكذا صارت آيات الابتلاء في القرآن برهاناً على العناية الإلهية، ودليلاً على صدق الرسالة، ووسيلةً لدوامها حتى يُتم الله نوره ويُظهر دينه على الدين كله. وهكذا يتضح أن سنن الابتلاء التي وردت في كتابه من أخبار الابتلاء والامتحان لم يكن مقصوراً على تسليية نبيه ﷺ فحسب، بل هو تسليية لأمته من بعده إلى قيام الساعة؛ إذ مقصوده الأعظم تحقيق العبودية لله وحده. فإذا ابْتُلِيَ المؤمنون تميّز فيهم الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، وكان في ذلك من ترسيخ التوحيد وتخليص القلوب من شوائب الشرك والرياء ما لا يحصل بدونه. ثم يكون الابتلاء تمحيصاً للصفوف، وتربيةً للنفوس على الصبر والجهاد، كما قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. وهو مع ذلك سبب لرفع الدرجات وتكفير السيئات، وتنشيط القلوب على الحق، فتغدو المحنة في حق أوليائه منحة، ويصير كيد الأعداء سبباً لزيادة اليقين وصحة التوكل، حتى يظهر بذلك أن سنة الله ماضية في عبادته: أن يجعل البلاء طريقاً إلى الهدى، والامتحان سبباً إلى الرحمة، فينقلب الضرر نفعاً، والابتلاء نعمة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٦].

الخاتمة:

وخلاصة هذا البحث أنّ آيات التسليية في القرآن الكريم قد جاءت لتؤدي وظيفة عقديّة وتربوية عظيمة؛ إذ قصّ الله من أخبار أنبيائه وأقوامهم ما يكون تثبيتاً لفؤاد نبيه ﷺ، وتسليية لأمته من بعده إلى قيام الساعة، ليعتصموا بالله عند ورود المحن، ويزدادوا يقيناً وثباتاً. وقد تبين أنّ هذه الآيات لم تُنزل للوعظ فحسب، بل كانت منهجاً ربانياً متكاملًا يجمع بين التثبيت النفسي والتأصيل العقدي، مما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان، ومصدرًا دائمًا لهداية الأمة في مواجهة التحديات الفكرية والعقدية.

أهم النتائج:

١. أثبتت الدراسة أن آيات التسليية القرآنية تؤدي وظيفة عقديّة محورية، إذ واجه بها النبي ﷺ تكذيب قومه وشبهاتهم، فاقرنت استقامة الرسالة وعلو درجتها بالصبر والثبات عند المحن.
٢. تبين من خلال التحليل أن أثر آيات التسليية لا يقتصر على زمن النبوة، بل يمتد منهجاً ربانياً دائماً للأمة، مما يعزّز حضورها العقدي في التصدي للتحديات الفكرية المعاصرة.
٣. أظهرت النتائج أن كثرة ورود آيات التسليية في القرآن الكريم ليست تكراراً، بل دلالة على عمق الصلة بين الوحي والواقع، بما يجعلها سنداً متجدداً للمؤمنين عبر العصور.
٤. دلّت الدراسة على أن آيات التسليية تُرسيخ اليقين بوعد الله وتكشف أن الابتلاء سنة ربانية جارية، فينشأ عنها توجيه عملي للمؤمن بالاستمسك بالصبر والثبات.
٥. خلص البحث إلى أن للتسليية النبوية أبعاداً تطبيقية معاصرة، إذ يمكن توظيفها في مواجهة:
 - الإلحاد: بإعادة بناء العلاقة بين الابتلاء وحقيقة الإيمان بالله.
 - الفلق الوجودي: بفتح أفق اليقين بالقدر واليوم الآخر.
 - الإحباط النفسي: بإظهار الابتلاء طريقاً للارتقاء والاصطفاء لا للهزيمة والانكسار.

التوصيات:

١. يوصي البحث بإجراء دراسات مقارنة معمّقة تربط بين دور القرآن في تسليية النبي ﷺ والآليات النفسية والاجتماعية المعاصرة لمواجهة الأزمات، بما يعزز تكامل المعالجة الشرعية والعلمية.
 ٢. ينبغي للمؤسسات الدعوية والتربوية أن تعمل على إدماج آيات التسليية في البرامج التربوية، من خلال مناهج تعليمية وتطبيقات رقمية ومؤلفات إرشادية، توضح كيفية الاستفادة منها في تثبيت القلوب ومواجهة الابتلاءات.
 ٣. توصي الدراسة بالانفتاح المنهجي على بعض العلوم الإنسانية (علم النفس، علم الاجتماع الديني، دراسات المقارنة الفلسفية) في إطار منضبط، لإبراز أصالة التصور القرآني وقدرته على معالجة أزمات الإنسان المعاصر بلغة تستوعب السياقات الفكرية والنفسية الحديثة.
- وفي الختام، أسأل الله تعالى التوفيق والسداد، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

- ابن إسحاق، محمد بن إسحاق. (١٩٧٨). سيرة ابن إسحاق السير والمغازي (سهيل زكار، محقق). دار الفكر.
- الأصفهاني، الحسين بن محمد. (١٩٩١). المفردات في غريب القرآن (صفوان عدنان الداودي، محقق). دار القلم.
- الألباني، محمد ناصر الدين. (١٩٨٤). تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجه الإسلام. المكتب الإسلامي.
- الألباني، محمد ناصر الدين. (د.ت). صحيح الجامع الصغير وزياداته. المكتب الإسلامي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٣١١). صحيح البخاري (محمد فؤاد عبد الباقي، محقق). المطبعة الكبرى الأميرية.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر. (د.ت). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. دار الكتاب الإسلامي.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر. (١٩٩٨). أنوار التنزيل وأسرار التأويل (محمد عبد الرحمن المرعشلي، محقق). دار إحياء التراث العربي.
- البغدادي، عبد القاهر. (١٩٨٧). أصول الدين (أصول الإيمان) (عبد العليم عبد العظيم البستوي، محقق). مكتبة وهبة.
- البيهقي، أحمد بن الحسين. (١٩٨٨). دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة (عبد المعطي قلنجي، محقق). دار الكتب العلمية.
- الترمذي، محمد بن عيسى. (١٩٧٥). سنن الترمذي (أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، محققان). مكتبة مصطفى البابي الحلبي.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. (١٩٧٧). كتاب الإيمان (محمد ناصر الدين الألباني، محقق). المكتب الإسلامي.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. (١٩٨٦). منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية (محمد رشاد سالم، محقق). جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. (٢٠٠٤). مجموع الفتاوى (عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، محقق). مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. (٢٠٠٦). الرسالة التدمرية (عبد الرحمن بن حسن بن قائد، محقق) (ط.٢). دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. (د.ت). دقائق التفسير الجامع لتفسير (محمد السيد الجليند، محقق). دار ابن الجوزي.
- الثعلبي، أحمد بن إبراهيم. (٢٠١٥). الكشف والبيان عن تفسير القرآن (صلاح باعثمان وآخرون، محققون). دار التفسير.
- الجزائري، جابر بن موسى. (٢٠٠٣). أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. مكتبة العلوم والحكم.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (١٣٧٩). فتح الباري بشرح صحيح البخاري (محمد فؤاد عبد الباقي، محقق). دار المعرفة.
- الحكمي، حافظ بن أحمد. (٢٠٠٠). معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (عمر بن محمود أبو عمر، محقق) (ط.٢). دار ابن القيم، دار ابن عфан.
- الحكمي، حافظ بن أحمد. (د.ت). لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية. دار طيبة.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث. (٢٠٠٩). سنن أبي داود (شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، محققان). دار الرسالة العالمية.
- الرازي، محمد بن أبي بكر. (١٩٩٩). مختار الصحاح. دار الكتب العلمية.
- الرازي، محمد بن عمر. (١٤٢٠). مفاتيح الغيب = التفسير الكبير. دار إحياء التراث العربي.
- الزبيدي، محمد مرتضى. (٢٠٠١). تاج العروس من جواهر القاموس (جماعة من المختصين، محققون). وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت.
- الزمخشري، محمود بن عمر. (١٤٠٧). الكشف عن حقائق غوامض التنزيل. دار الكتاب العربي.
- ابن أبي زمنين، عبد الله بن محمد القرطبي. (٢٠٠٤). أصول السنة (أبو عبد الرحمن مصطفى بن العدوي، محقق) (ط.٢). مكتبة ابن تيمية.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (٢٠٠٠). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (عبد الرحمن بن معلا اللويحق، محقق). مؤسسة الرسالة.
- السفاريني، إبراهيم بن محمد. (٢٠٠٠). لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية (عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، وعبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل عبد اللطيف، محقق) (ط.٢). دار العاصمة.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (د.ت). الدر المنثور. دار الفكر.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٧٤). الإتيقان في علوم القرآن (محمد أبو الفضل إبراهيم، محقق). الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الشوكاني، محمد بن علي. (١٤١٤). فتح القدير. دار ابن كثير.
- الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠١). تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن (عبد الله بن عبد المحسن التركي، محقق). دار هجر.

- ابن عادل، عمر بن علي. (١٩٩٨). اللباب في علوم الكتاب (عادل أحمد وآخرون، محققون). دار الكتب العلمية.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤). التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر.
- عامري، سامي. (د.ت). مشكلة الشر ووجود الله. (د.ن).
- عتر، نور الدين محمد. (١٩٩٣). علوم القرآن الكريم. مطبعة الصباح.
- العثيمين، محمد بن صالح. (د.ت). رسالة القضاء والقدر. دار ابن الجوزي.
- العثيمين، محمد بن صالح. (٢٠١٤). تفسير القرآن الكريم سورة المائدة. دار ابن الجوزي.
- ابن أبي العز. (د.ت). شرح العقيدة الطحاوية (محمد ناصر الدين الألباني، محقق). وزارة الشؤون الإسلامية.
- ابن أبي العز الحنفي، علي بن علي. (د.ت). شرح العقيدة الطحاوية (لجنة من وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، محققون). وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض.
- ابن فارس، أحمد بن فارس. (١٩٧٩). مقاييس اللغة (عبد السلام محمد هارون، محقق). دار الجيل.
- الفاكهي، محمد بن إسحاق. (٢٠٠٣). أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه (عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، محقق). مكتبة الأسد.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (د.ت). كتاب العين (مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، محققان). دار ومكتبة الهلال.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (٢٠٠٥). القاموس المحيط (محمد نعيم العرقسوسي، محقق). مؤسسة الرسالة.
- القاسمي، محمد جمال الدين. (١٤١٨). محاسن التأويل (محمد باسل عيون السود، محقق). دار الكتب العلمية.
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن. (د.ت). لطائف الإشارات في تفسير القرآن (إبراهيم البسيوني، محقق). الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- القهوجي، بشار محمد رضا. (٢٠١٧). فلسفة وجود الشر بين واحة الإيمان ومعضلة الإلحاد. بحث مقدم لمؤتمر الدراسات الإسلامية المعاصرة والقضايا المستجدة، ماليزيا، ص ١-٤٤.
- ابن قيم الجوزية. (١٩٧٨). شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (محمد بدر الدين، محقق). دار الفكر.
- ابن قيم الجوزية. (د.ت). طريق الهجرتين وباب السعادتين. دار السلفية.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (١٩٩٩). تفسير القرآن العظيم (سامي بن محمد السلامة، محقق). دار طيبة للنشر والتوزيع.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد. (د.ت). سنن ابن ماجه (محمد فؤاد عبد الباقي، محقق). دار إحياء الكتب العربية.
- محمد، صبري عبدالله شندي. (٢٠١١). ميتافيزيقيا الخير والشر في فلسفة ريتشارد سوينبرن. مجلة كلية الآداب. جامعة الفيوم، (٤)، ٧٤.

- مسلم بن الحجاج. (د.ت). صحيح مسلم (أحمد بن رفعت وآخرون، محققون). دار الطباعة العامرة.
- المعلمي، عبد الرحمن بن يحيى. (د.ت). القائد إلى تصحيح العقائد. دار الهجرة.
- المنائوي، عبد الرؤوف. (١٣٥٦). فيض القدير شرح الجامع الصغير. المكتبة التجارية الكبرى.
- المنائوي، عبد الرؤوف. (١٩٩٠). التوقيف على مهمات التعاريف (عبد الخالق ثروت، محقق). عالم الكتب.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٤١٤). لسان العرب. دار صادر.
- ابن هشام، عبد الملك. (١٩٥٥). السيرة النبوية لابن هشام (مصطفى السقا وآخرون، محققون). البابي الحلبي.
- الواحدي، علي بن أحمد. (١٩٩١). أسباب نزول القرآن (كمال بسيوني زغلول، محقق). دار الكتب العلمية.
- الواحدي، علي بن أحمد. (٢٠٠٧). أسباب النزول (ماهر ياسين الفحل، محقق). دار الكتب العلمية.

- Abū Dāwūd, Sulaymān ibn al-Ash‘ath. (2009). Sunan Abī Dāwūd (Shu‘ayb al-Arna’ūt wa-Muḥammad Kāmil Qarah bly, mḥqqān). Dār al-Risālah al-‘Ālamīyah.
- Al-Albānī, Muḥammad Nāṣir al-Dīn. (1984). takhrīj aḥādīth Mushkilat al-faqr wa-kayfa ‘ālajhā al-Islām. al-Maktab al-Islāmī.
- Al-Albānī, Muḥammad Nāṣir al-Dīn. (D. t). Ṣaḥīḥ al-Jāmi‘ al-Ṣaghīr wa-ziyādātuḥu. al-Maktab al-Islāmī.
- Al-Aṣfahānī, al-Ḥusayn ibn Muḥammad. (1991). al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur’ān (Ṣafwān ‘Adnān al-Dāwūdī, Muḥaqiq). Dār al-Qalam.
- Al-Baghdādī, ‘Abd al-Qāhir. (1987). uṣūl al-Dīn (uṣūl al-īmān) (‘Abd al-‘Alīm ‘Abd al-‘Azīm al-Bastawī, Muḥaqiq). Maktabat Wahbah.
- Al-Bayḍāwī, ‘Abd Allāh ibn ‘Umar. (1998). Anwār al-tanzīl wa-asrār al-ta’wīl (Muḥammad ‘Abd al-Raḥmān al-Mar‘ashlī, Muḥaqiq). Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī.
- Al-Bayhaqī, Aḥmad ibn al-Ḥusayn. (1988). Dalā’il al-Nubūwah wa-ma‘rifat aḥwāl ṣāḥib al-sharī‘ah (‘Abd al-Mu‘ṭī Qal‘ajī, Muḥaqiq). Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.
- Al-Biqā‘ī, Ibrāhīm ibn ‘Umar. (D. t). nazm al-Durar fī tanāsib al-āyāt wa-al-suwar. Dār al-Kitāb al-Islāmī.

- Al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā‘īl. (1311). Ṣaḥīḥ al-Bukhārī (Muḥammad Fu‘ād ‘Abd al-Bāqī, Muḥaqqiq). al-Maṭba‘ah al-Kubrā al-Amīriyah.
- Al-Fākihī, Muḥammad ibn Ishāq. (2003). Akhbār Makkah fī qadīm al-dahr wa-ḥadīthuhu (‘Abd al-Malik ibn ‘Abd Allāh ibn Duhaysh, Muḥaqqiq). Maktabat al-Asadī.
- Al-Farāhīdī, al-Khalīl ibn Aḥmad. (D. t). Kitāb al-‘Ayn (Mahdī al-Makhzūmī wa-Ibrāhīm al-Sāmarrā‘ī, mḥqqān). Dār wa-Maktabat al-Hilāl.
- Al-Fīrūzābādī, Muḥammad ibn Ya‘qūb. (2005). al-Qāmūs al-muḥīṭ (Muḥammad Na‘īm al-rqswsy, Muḥaqqiq). Mu’assasat al-Risālah.
- Al-Ḥakamī, Ḥāfīz ibn Aḥmad. (2000). Ma‘ārij al-qubūl bi-sharḥ Sullam al-wuṣūl ilā ‘ilm al-uṣūl (‘Umar ibn Maḥmūd Abū ‘Umar, Muḥaqqiq) (Ṭ. 2). Dār Ibn al-Qayyim, Dār Ibn ‘Affān.
- Al-Ḥakamī, Ḥāfīz ibn Aḥmad. (D. t). Lawāmi‘ al-anwār al-bahīyah wa-sawāṭi‘ al-asrār. al-Atharīyah Dār Ṭaybah.
- Al-Jazā‘irī, Jābir ibn Mūsā. (2003). Aysar al-tafāsīr lklām al-‘Alī al-kabīr. Maktabat al-‘Ulūm wa-al-Ḥikam.
- Al-Mu‘allimī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Yaḥyā. (D. t). al-qā‘id ilā taḥḥīḥ al-‘aqā‘id. Dār al-Hijrah.
- Al-Munāwī, ‘Abd al-Ra‘ūf. (1356). Fayḍ al-qadīr sharḥ al-Jāmi‘ al-Ṣaghīr. al-Maktabah al-Tijārīyah al-Kubrā.
- Al-Munāwī, ‘Abd al-Ra‘ūf. (1990). al-Tawqīf ‘alā muhimmāt al-ta‘ārīf (‘Abd al-Khāliq Tharwat, Muḥaqqiq). ‘Ālam al-Kutub.
- Al-Qahwajī, Bashshār Muḥammad Ridā. (2017). Falsafat wujūd al-sharr bayna wāḥat al-īmān wa-mu‘ḍilat al-ilḥād. baḥth muqaddam li-Mu’tamar al-Dirāsāt al-Islāmīyah al-mu‘āshirah wa-al-qaḍāyā al-mustajaddah, Mālīziyā, ṣ1-44.
- Al-Qāsimī, Muḥammad Jamāl al-Dīn. (1418). Maḥāsīn al-ta’wīl (Muḥammad Bāsīl ‘Uyūn al-Sūd, Muḥaqqiq). Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.
- Al-Qushayrī, ‘Abd al-Karīm ibn Hawāzin. (D. t). Laṭā‘if al-Ishārāt fī tafsīr al-Qur‘ān (Ibrāhīm al-Basyūnī, Muḥaqqiq). al-Hay‘ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb.
- Al-Rāzī, Muḥammad ibn Abī Bakr. (1999). Mukhtār al-ṣiḥāḥ. Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.
- Al-Rāzī, Muḥammad ibn ‘Umar. (1420). Mafātīḥ al-ghayb = al-tafsīr al-kabīr. Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī.
- Al-Sa‘dī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Nāṣir. (2000). Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān (‘Abd al-Raḥmān ibn Mu‘allā al-Luwayḥīq, Muḥaqqiq). Mu’assasat al-Risālah.
- al-Saffārīnī, Ibrāhīm ibn Muḥammad. (2000). Lawāmi‘ al-anwār al-bahīyah wa-sawāṭi‘ al-asrār al-Atharīyah li-sharḥ al-Durrah al-muḍīyah fī ‘aqd al-fīrqah al-marḍīyah (‘Abd Allāh ibn Muḥammad ibn Aḥmad al-Ṭayyār, wa-‘Abd al-‘Azīz ibn ‘Abd Allāh ibn Muḥammad Āl ‘Abd al-Laṭīf, Muḥaqqiq) (Ṭ. 2). Dār al-‘Āshimah.

- Al-Shawkānī, Muḥammad ibn ‘Alī. (1414). Fath al-qadīr. Dār Ibn Kathīr.
- Al-Suyūṭī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr,. (1974). al-Itqān fī ‘ulūm al-Qur’ān (Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Muḥaqqiq). al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb.
- Al-Suyūṭī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr. (D. t). al-Durr al-manthūr. Dār al-Fikr.
- Al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. (2001). tafsīr al-Ṭabarī Jāmi‘ al-Bayān ‘an Ta’wīl āy al-Qur’ān (‘Abd Allāh ibn ‘Abd al-Muḥsin al-Turkī, Muḥaqqiq). Dār Hajar.
- Al-Tha‘labī, Aḥmad ibn Ibrāhīm. (2015). al-kashf wa-al-bayān ‘an tafsīr al-Qur’ān (Ṣalāḥ bā‘thmān wa-ākharūn, mḥqqwn). Dār al-tafsīr.
- Al-Tirmidhī, Muḥammad ibn ‘Īsā. (1975). Sunan al-Tirmidhī (Aḥmad Muḥammad Shākīr wa-Muḥammad Fu’ād ‘Abd al-Bāqī, mḥqqān). Maktabat Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī.
- Al-‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ. (2014). tafsīr al-Qur’ān al-Karīm Sūrat al-mā’idah. Dār Ibn al-Jawzī.
- Al-‘Uthaymīn, Muḥammad ibn Ṣāliḥ. (D. t). Risālat al-qaḍā’ wa-al-qadar. Dār Ibn al-Jawzī.
- Al-Wāḥidī, ‘Alī ibn Aḥmad. (1991). asbāb nuzūl al-Qur’ān (Kamāl Basyūnī Zaghlūl, Muḥaqqiq). Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.
- al-Wāḥidī, ‘Alī ibn Aḥmad. (2007). asbāb al-nuzūl (Māhir Yāsīn al-Faḥl, Muḥaqqiq). Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.
- Al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ‘Umar. (1407). al-Kashshāf ‘an ḥaqā’iq ghawāmiḍ al-tanzīl. Dār al-Kitāb al-‘Arabī.
- Al-Zubaydī, Muḥammad Murtaḍā. (2001). Tāj al-‘arūs min Jawāhir al-Qāmūs (Jamā‘at min al-mukhtaṣṣīn, mḥqqwn). Wizārat al-Irshād wa-al-Anbā’ fī al-Kuwayt.
- Ameida, Micheal J. (2008). The Metaphysics of perfect Beings. Taylor & Francis or Routledge’s.
- ‘Āmirī, Sāmī. (D. t). Mushkilat al-sharr wa-wujūd Allāh. (D. N).
- Ibn Abī al-‘Izz al-Ḥanafī, ‘Alī ibn ‘Alī. (D. t). sharḥ al-‘aqīdah al-Ṭaḥāwīyah (Lajnat min Wizārat al-Shu’ūn al-Islāmīyah wa-al-Awqāf wa-al-Da’wah wa-al-Irshād bi-al-Mamlakah al-‘Arabīyah al-Sa’ūdīyah, mḥqqwn). Wizārat al-Shu’ūn al-Islāmīyah, al-Riyāḍ.
- Ibn Abī al-‘Izz. (D. t). sharḥ al-‘aqīdah al-Ṭaḥāwīyah (Muḥammad Nāṣir al-Dīn al-Albānī, Muḥaqqiq). Wizārat al-Shu’ūn al-Islāmīyah.
- Ibn Abī Zamanayn, ‘Abd Allāh ibn Muḥammad al-Qurṭubī. (2004). uṣūl al-Sunnah (Abū ‘Abd al-Raḥmān Muṣṭafā ibn al-‘Adawī, Muḥaqqiq) (Ṭ. 2). Maktabat Ibn Taymīyah.
- Ibn ‘Ādil, ‘Umar ibn ‘Alī. (1998). al-Lubāb fī ‘ulūm al-Kitāb (‘Ādil Aḥmad wa-ākharūn, mḥqqwn). Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.
- Ibn ‘Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. (1984). al-Taḥrīr wa-al-tanwīr. al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr.

- Ibn Fāris, Aḥmad ibn Fāris. (1979). Maqāyīs al-lughah (‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, Muḥaqqiq). Dār al-Jīl.
- Ibn Ḥajar al-‘Asqalānī, Aḥmad ibn ‘Alī. (1379). Faṭḥ al-Bārī bi-sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī (Muḥammad Fu’ād ‘Abd al-Bāqī, Muḥaqqiq). Dār al-Ma‘rifah.
- Ibn Hishām, ‘Abd al-Malik. (1955). al-sīrah al-Nabawīyah li-Ibn Hishām (Muṣṭafā al-Saqqā wa-ākharūn, mḥqqwn). al-Bābī al-Ḥalabī.
- Ibn Ishāq, Muḥammad ibn Ishāq. (1978). sīrat Ibn Ishāq al-siyar wālmghāzy (Suhayl Zakkār, Muḥaqqiq). Dār al-Fikr.
- Ibn Kathīr, Ismā‘īl ibn ‘Umar. (1999). tafsīr al-Qur’ān al-‘Azīm (Sāmī ibn Muḥammad al-Salāmah, Muḥaqqiq). Dār Ṭaybah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘.
- Ibn Mājah, Muḥammad ibn Yazīd. (D. t). Sunan Ibn Mājah (Muḥammad Fu’ād ‘Abd al-Bāqī, Muḥaqqiq). Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabīyah.
- Ibn manzūr, Muḥammad ibn Mukarram. (1414). Lisān al-‘Arab. Dār Ṣādir.
- Ibn Qayyim al-Jawzīyah. (1978). Shifā’ al-‘alīl fī masā’il al-qaḍā’ wa-al-qadar wa-al-ḥikmah wa-al-ta‘līl (Muḥammad Badr al-Dīn, Muḥaqqiq). Dār al-Fikr.
- Ibn Qayyim al-Jawzīyah. (D. t). ṭarīq al-hijratayn wa-Bāb al-sa‘ādatayn. Dār al-Salafīyah.
- Ibn Taymīyah, Aḥmad ibn ‘Abd al-Ḥalīm. (1977). Kitāb al-īmān (Muḥammad Nāṣir al-Dīn al-Albānī, Muḥaqqiq). al-Maktab al-Islāmī.
- Ibn Taymīyah, Aḥmad ibn ‘Abd al-Ḥalīm. (1986). Minhāj al-Sunnah al-Nabawīyah fī naqḍ kalām al-Shī‘ah wa-al-Qadarīyah (Muḥammad Rashād Sālīm, Muḥaqqiq). Jāmi‘at al-Imām Muḥammad ibn Sa‘ūd al-Islāmīyah.
- Ibn Taymīyah, Aḥmad ibn ‘Abd al-Ḥalīm. (2004). Majmū‘ al-Fatāwā (‘Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad ibn Qāsim, Muḥaqqiq). Majma‘ al-Malik Fahd li-Ṭibā‘at al-Muṣḥaf al-Sharīf.
- Ibn Taymīyah, Aḥmad ibn ‘Abd al-Ḥalīm. (2006). al-Risālah al-Tadmurīyah (‘Abd al-Raḥmān ibn Ḥasan ibn Qā’id, Muḥaqqiq) (Ṭ. 2). Dār ‘Ālam al-Fawā’id lil-Nashr wa-al-Tawzī‘.
- Ibn Taymīyah, Aḥmad ibn ‘bdālḥlym. (D. t). daqā’iq al-tafsīr al-Jāmi‘ li-tafsīr (Muḥammad al-Sayyid al-Jalaynad, Muḥaqqiq). Dār Ibn al-Jawzī.
- ‘Itr, Nūr al-Dīn Muḥammad. (1993). ‘ulūm al-Qur’ān al-Karīm. Maṭba‘at al-Ṣabāḥ.
- Muḥammad, Ṣabrī Allāh Shindī. (2011). mytāfyzyqyā al-Khayr wa-al-sharr fī Falsafat Rītshārd swynbrn. Majallat Kullīyat al-Ādāb. Jāmi‘at al-Fayyūm, (4), 74.
- Muslim ibn al-Ḥajjāj. (D. t). Ṣaḥīḥ Muslim (Aḥmad ibn Rif‘at wa-ākharūn, mḥqqwn). Dār al-Ṭibā‘ah al-‘Āmirah.